تِبْيَانُ القرآنِ الكريمِ
لأصول تفسيره
دراسةٌ استنباطية موضوعية

إعداد:
دكتور/ عماد محمود محمود عبد الكريم
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم
كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان
جامعة الأزهر الشريف
ekarim1972@gmail.com

ملخص البحث

تكون هذا البحث من مقدمة وعشرة مباحث الأول: "تقرير عقيدة أن القرآن الكريم كلام اللَّه تعالى بلفظه"، وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة. الثاني: "بيان القرآن للقرآن" وأصول التفسير المترتبة على هذه الحقيقة. الثالث: " بيان القرآن من وظائف النبوة " وأصول التفسير المترتبة على هذه الحقيقة. الرابع: من حقائق القرآن "تحديد القرآن اللغة التي تنتمي إليها ألفاظه وأساليبه" وأصول التفسير المترتبة على هذه الحقيقة. السادس: من حقائق القرآن: "حرمة استخدام المصطلحات الملتبسة التي يتحقق بها أغراض خصوم الإسلام". وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة. السابع: " أنه كتاب عالمي أنزله اللَّه للناس كافة " وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة. الثامن: من حقائق القرآن "تحديد القرآن لطريقة نزوله وبيان الحكمة منها" وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة. التاسع: " تزكية قلوب الصحابة ﷺ والثناء على فهمهم للقرآن" وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة. العاشر: أنواع محرمة من التفسير.

المنهج: الاستنباطي الموضوعي.

النتائج: إذا كان القرآن تبيانًا لكل شيء؛ فلا يُعقل أن يترك بيان أمهات الفهم الصحيح لذلك التبيان!!. وكان هدف هذا البحث هو تتبع تلك الأصول والأمهات واستنباطها من آيات القرآن الكريم.

التوصيات: الاهتمام بالتأصيل لمسائل علم أصول التفسير، من القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: القرآن، أصول، التفسير، أصول التفسير.

The Qur'an shows the mothers of his statement.

Imad Mahmoud Mahmoud Abdul Karim .
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Al-Azhar Girls College, 10th of Ramadan, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: ekarim1972@gmail.com

Abstract :

This research is from the introduction and ten investigations of the first: "His report is a doctrine that the Holy Quran is the word of Allah almighty" and the mothers of the Qur'an statement emanating from that fact. The second is the Qur'an's statement of the Qur'an and the mothers of the statement that this fact entails. The third is the "Statement of the Qur'an from the functions of prophecy" and the mothers of the statement resulting from this fact. Fourth: One of the facts of the Qur'an is "defining the Qur'an as the language to which its words and methods belong" and the mothers of the statement arising from this fact. 6: One of the facts of the Qur'an: "The inviolability of the use of ambiguous terms that achieve the purposes of opponents of Islam." And the mothers of the Qur'an statement emanating from that fact. 7th: "It is a universal book that God has revealed to all people" and the mothers of the Qur'an statement emanating from that fact. 8th: One of the facts of the Qur'an is "defining the Qur'an for the way it descends and showing wisdom from it." And the mothers of the Qur'an statement emanating from that fact. 9. "To recommend the hearts of the Sahaba and to praise their understanding of the Qur'an" and the mothers of the Qur'an statement emanating from that fact. X: Forbidden types of interpretation.

Approach: Objective inference.

Results: If the Qur'an shows everything, it is not reasonable for the mothers' statement to leave the correct understanding of that statement!!. The aim of this research was to trace these assets and mothers and to derive them from the verses of the Holy Quran.

Recommendations: Attention to rooting for questions of the origins of interpretation, from the Qur'an.

Keywords: Statement, Qur'an, Mothers, Origins, Interpretation

مقدمة

الحمد للَّه رب العالمين، أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيء، والصلاة والسلام على النبي الخاتم محمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن تحقق رسالة القرآن الكريم في النفوس والمجتمعات على وجهها السليم، لا يكون إلا بإحسان فهمه، وهنا تكمن أهمية علم التفسير؛ فهو بوابة العمل بالقرآن الكريم وتفعيل أوامره ونواهيه، وتتوقف سلامة العمل على سلامة التفسير وتتوقف سلامة التفسير من الانحراف والخلل على علم أصول التفسير، هذا العلم الذي نُثرت مسائله في مقدمات كتب التفسير، وعلوم القرآن الكريم وغيرها، ولا تزال تُثريه أقلامُ الباحثين المعاصرين بالتأليف، وهو من العلوم ذوات الجذور العميقة والصلات الوثيقة بكل العلوم الشرعية والعربية، ولعل اتساع هذه الصلات وعمقها هو ما جعل هذا العلم – على كثرة ما كتب فيه– لا يزال في طور البناء والإحكام. وهذا البحث المعنون بـ (**تِبْيَانُ القرآنِ الكريمِ لأصول تفسيره دراسةٌ استنباطيةٌ، موضوعيةٌ**) الذي تُسطر هذه الكلمات في مقدمته هو محاولة للإسهام الجاد في وضع لبناتٍ في بناء هذا العلم الرصين المهيب؛ من خلال استقراء الآيات القرآنية التي يُمكن أن يُستنبط منها مسائلَ في أصول التفسير، وصياغتها وفق منهج التفسير الموضوعي، وأعتقد أن ذلك هو أُولى وأَولى خطوات هذا العلم التي ينبغي الوقوف عندها وإطالة التأمل فيها؛ فإذا كان القرآن تبيانًا لكل شيء؛ ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ...﴾ [النحل: ٨٩]. فإن علم (أصول التفسير) من العلوم التي تشتد الحاجة إليها، فبها يتحقق حفظ القرآن العزيز من التحريف المعنوي الذي يلجأ إليه أهل الأهواء؛ ليستخرجوا منه معاني توافق أهوائهم. ولا يُعقل أن يكون القرآن الكريم تبيانًا لكل شيء، ويترك تبيان مفاتيح الفهم الصحيح لذلك التبيان!! فتتبع تلك (الأصول) واستنباطها من آيات القرآن الكريم أمر محوري وركيزة أساس لهذا العلم؛ ولتحقيق هذه الغاية الشريفة تأسس هذا البحث.

وقبل الشروع في المقصود أحمد اللَّه في الختام كما حمدته في البدء وأساله–

سبحانه-أن يتجاوز عنى خطئي وتقصيري ﴿... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أضواء على مصطلحات العنوان:

تبيان: هذا المصطلح مأخوذ من قوله تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. و"التبيان هو البيان البليغ؛ فالتاء للمبالغة على قاعدة زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، ... ثم أريد به اسم الفاعل فحصلت مبالغتان، وهو مفعول لأجله"[(١)].

الأصول: جمع أصل، وهو في اللغة: عبارة عما يُفتقر إليه، ولا يَفتقر هو إلى غيره. وفي الشرع عبارة عما يُبنى عليه غيره، ولا يُبنى هو على غيره[(٢)].

والتفسير: في الأصل هو الكشف، والإظهار، **وفي الشرع:** توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالةً ظاهرة[(٣)]. **أو هو:**" اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يُستفاد منها، باختصار أو توسع"[(٤)].

أصول التفسير: من خلال تعريف المضاف (أصول) والمضاف إليه (التفسير)

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» (١٤/ ٢٥٣). بتصرف. المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر: الدار التونسية للنشر. تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٢) انظر التعريفات (ص: ٢٨) المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٣) انظر السابق (ص: ٦٣).

(٤) التحرير والتنوير (١/ ١١) مرجع سابق.

يمكن تعريف المركب الإضافي (أصول التفسير) بأنه: مجموعة الضوابط الكلية التي يُبنى على أساسها عمل المفسر بيانًا، أو استنباطاً. **دراسة**: أصل الدراسة الرياضة، والتعهد للشيء، ثم قيل درستُ القرآن إذا قرأته وتعهدته لتحفظه.[١] والمقصود بها هنا تعهد موضوع البحث بمنهج معين للوصول إلى نتائج؛ فهذا بحث يهدف إلى استنباط مسائل أصول التفسير من القرآن الكريم.

استنباطية: الاستنباط في اللغة: استخراجُ الماءِ من العين من قولهم نبطَ الماءُ إذا خرج من منبعه. وفي الاصطلاح: استخراجُ المعاني من النصوص بفرطِ[٢] الذهن وقوة القريحة.[٣]

ويمكن تعريف (**الدراسة الاستنباطية**) بأنها التي تسلك المنهج الاستنباطي وهو: بذل الجهد العقلي، والنفسي المكثف في دراسة النص؛ بهدف الوصول إلى استنباط نتائج في أصول التفسير، قائمة على أدلة واضحة، أوقرائن داعمة؛ **فالمنهج الاستنباطي** هو: "الذي يربط العقل فيه بين المقدمات والنتائج أو بين الأشياء وعللها، على أساس المنطق والتأمل الذهني، فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات"[٤]. **موضوعية**: المنهج الموضوعي في التفسير يتعلق بالكشف الكلى عن أهداف القرآن في قضايا محددة؛ لذلك لا يتبع ترتيب التلاوة التوقيفي في التفسير، ولكن يتبع الترتيب الموضوعي الاجتهادي للآيات، من خلال تتبع الآيات المتحدثة عن هذا الموضوع في

(١) غريب الحديث للخطابي (١/ ٥٨٣). المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ) المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي. خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي الناشر: دار الفكر – دمشق عام النشر: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

(٢) الفرط والفارط: من معانيه "المتقدم في طلب الماء" ولعل مقصود صاحب التعريفات هو تقدم الذهن وسبقه. انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٠) المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣) انظر التعريفات (ص: ٢٢). مرجع سابق.

(٤) انظر: البحث العلمي مناهجه وتقنياته: د. محمَّد زيان عمر، ص ٣٢، ط، جدة بالسعودية، ١٣٩٤هـ.

كل سور القرآن الكريم وترتيبها ترتيبًا وفق نزولها في عناصر وِفْقَ رؤية محددة في بحث تلك القضية، ومن خلال البحث، والمقارنة، والاستنباط تُسْتخلص النتيجة مع مراعاة ضوابط الاستنباط وأصول التفسير في كل ما تقدم[1]. فمعنى كون هذه الدراسة **دراسة موضوعية** أنها اتجهت نحو موضوع من موضوعات القرآن الكريم هو **" تبيان القرآن لأصول تفسيره"** وجمعتْ الآيات التي تتحدث عنه ثم اختارتْ منها ما يناسب عناصر الدراسة وأدرجتها في عناصر رئيسة وأخرى فرعية وحاولت استنباط الفوائد والنتائج.

عنوان آخر للبحث تم العدول عنه:

كنت عزمت على تسمية البحث (**تبيان القرآن الكريم لأمهات بيانه**) وعللت ذلك وشرحت المصطلحات فقلتُ: آثرت مصطلح(أمهات) على مصطلح (أصول)؛ لأن كلمة (أصول) في القرآن الكريم وردت في موضع واحد ويُقصد بها معنى حسي ليس في سياقه الحديث عن بيان القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ[2] أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى **أُصُولِهَا** فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾ [الحشر: ٥] فمعنى مصطلح "أمهات بيانه" أي "أصول بيانه".

أمهات: مقتبس من المصطلح القرآني (أم الكتاب) بمعناه الوارد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ **هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ** وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]. قال الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) -رحمه اللَّه-: "... يعني بذلك: أنهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كُلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم. وإنما سماهن "أمّ الكتاب"؛ لأنهن معظم الكتاب، وموضع مَفزَع أهله عند الحاجة إليه، وكذلك تفعل

(١) ألفت كتب كثيرة في منهج التفسير الموضوعي، أهمها وأسبقها ما كتبه الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي رحمه اللَّه، والأستاذ الدكتور عبد الستار فتح اللَّه سعيد.

(٢) قال الطبري: "ما قطعتم من ألوان النخل، أو تركتموها قائمة على أصولها". انظر تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٣/ ٢٦٨) مرجع سابق.

العرب، تُسمي الجامعَ معظم الشيء "أمًّا" له. فتسمى راية القوم التي تجمعهم في العساكر: "أمّهم"، والمدبر معظم أمر القرية والبلدة: "أمها"[(١)]. فالمقصود بمصطلح (أمهات) الوارد في عنوان البحث هو الأصول التي يرجع إليها بيان القرآن.

بيانه: البيان مصطلح قرآني وردت مشتقاته في سياقات تتعلق **بالوضوح الذاتي** لمعاني القرآن من ألفاظه وتراكيبه أو **الوضوح الإضافي** ببيان اللَّه تعالى أو ببيان رسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ **وَقُرْآنٌ مُبِينٌ** (٦٩)﴾ [يس: ٦٩]. ﴿تِلْكَ آيَاتُ **الْكِتَابِ الْمُبِينِ**﴾ [يوسف: ١] ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ **تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ [النحل: ٨٩]. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ **عَلَيْنَا بَيَانَهُ** (١٩)﴾ [القيامة: ١٨، ١٩]. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ **لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ** مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾ [النحل: ٤٤].

فأمهات بيان القرآن في الاصطلاح هي: مجموعة الضوابط الكلية التي يُبنى على أساسها عمل المفسر بيانًا، أو استنباطاً. **وآثرتُ** مصطلح (بيان) على مصطلح (تفسير)؛ لأن الأخير لم يرد في القرآن الكريم إلا في موضع واحد في سياق خاص هو الرد على شبهات منكري حقية القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ **وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)**﴾ [الفرقان: ٣٣].

وليتوافق عنوان البحث مع معهود استعمال القرآن الكريم؛ وهذا من مقتضيات البحث في التفسير الموضوعي وهو تحري أن تكون مصطلحات العنوان مأخوذة أو منتزعة من ألفاظ القرآن نفسه متوافقة مع دلالاتها في السياق القرآني.

وهذا المصطلح (أمهات بيان القرآن) لا أعرف أن أحدًا استخدمه من قبل، وإنما هُديت إليه أثناء البحث عن عنوان يتناسب مع موضوع هذه الدراسة، وفق الخطوات

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٦/ ١٧٠) المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.

المنهجية للتفسير الموضوعي.

عود على بدء:

هذا ما كنت عزمت عليه، ونَظّرْتُ له، ولكني حزمت أمري في النهاية-وسبحان مقلب القلوب-على استخدام المصطلح الأشهر وهو (أصول التفسير)؛ ليكون أوضح وأصرح وأسهل في الدلالة على موضوع البحث، فإذا ورد في البحث مصلح (أمهات بيان القرآن الكريم) فليعلم القارئ الكريم أن المقصود به (أصول تفسير القرآن الكريم) فتلك من بقايا العزمة الأولى، وأرجو أن أكون وفقت للصواب واللَّه تعالى الموفق والمعين.

أهمية البحث: يَستمد موضوع هذا البحث أهميته، من أهمية علم (أصول التفسير)، الذي يستمد بدوره أهميته؛ مِنْ كَوْنِهِ يُمثل مجموعة الكليات الضابطة لأشرفِ العلوم "علم تفسير القرآن الكريم". وأهمية أخرى خاصة وهي أن هذا البحث قائم على استنباط أصول التفسير من القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع.

الدراسات السابقة: لم أقف على دراسة سابقة بهذا العنوان، وإن كانت كتب علوم القرآن الكريم، وأصول التفسير ومقدمات كتب التفسير ترد فيها آيات كريمة، استشهادًا بها على بعض قضايا أصول التفسير، أو استنباطًا منها. **ولعل** من مميزات هذا البحث؛ أنه جعل من الآيات القرآنية أصلاً ينطلق منه، إضافة إلى ميزة الجمع والترتيب للآيات القائم على منهج التفسير الموضوعي ممزوجًا بالتحليل والاستنباط من الآيات الكريمة المختارة. **فأرجو** من اللَّه أن يتحقق في عملي هذا بعض أقسام التأليف المعتبرة، الواردة في هذه العبارة الجامعة: " لا يُؤلف أحدٌ كتابًا إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يُمكن التأليف في غيرها، وهي: إما أن يُؤلف من شيء لم يُسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره، دون أن يُخل بشيء في معانيه، أو شيء مختلط يُرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يُبينه، أو شيء مُفرق

يَجمعه"[١].

أغراض البحث: هذه الدراسة -بفضله تعالى وتوفيقه -تُسهم في إثراء ثلاثة من أهم أغراض البحث في علم أصول التفسير: **أولها**: تاريخه ونشأته. **ثانيها**: تأسيسه وبناءه. **ثالثها**: مسائله وقواعده.

ويزاوج هذا البحث بين غرضين من أغراض التأليف في التخصص الدقيق "التفسير وعلوم القرآن الكريم": **الغرض الأول**: هو (أصول التفسير) من حيث هو علم مستمد من القرآن الكريم.

والغرض الثاني: هو دراسة موضوعية لآيات من القرآن الكريم تتعلق بأصول التفسير وضوابط الفهم، وما يتخللها من نظرات في التفسير التحليلي وغيره من أنواع التفسير. وهذا من فضل اللَّه وتوفيقه.

أسئلة البحث: يجتهدُ البحثُ وهو في طريقه لتحقيق تلك الأغراض الإجابةَ عن أسئلةٍ أهمها:

١. إذا كان القرآن تبيانًا لكل شيء فهل كان من جملة ذلك التبيان بيان أصول تفسيره وأمهات بيانه؟

٢. إذا كانت إجابة السؤال السابق بنعم؛ فهل يمكن استنباط تلك الأصول أو الأمهات؟

٣. وإذا كانت إجابة السؤال الثاني بنعم -أيضًا-فهل يمكن تطبيق ذلك، وتقديمه في صورة خالية من التكلف، وفق قواعد تفسير القرآن الكريم وضوابط الاستنباط وطرقه الصحيحة؟

ولعل البحث -من خلال الإجابة عن تلك الأسئلة-يُسهم في كشف الدعاية

(١) انظر رسائل ابن حزم الأندلسي رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها. ٢/ ١٨٦ المحقق :إحسان عباس الناشر :المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الكاذبة التي يروجها أصحاب ما يُسمى القراءة المعاصرة للقرآن الكريم[1]، التي تُحاول أن تجعل مزيجًا غير متناسق من مصطلحات ومناهج مستوردة من الغرب، أصولًا لتفسير القرآن الكريم؛ فها هي (أصولُ التفسيرِ أو أمهات بيان القرآن) واردة في القرآن الكريم ذاته؛ ألم يقل اللَّه تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ **تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ [النحل: ٨٩]. وإذا كان القرآن تبيانًا لكل شيء؛ فإن علم (أصول التفسير) من العلوم التي تشتد الحاجة إليها بل هي أساس لفهم رسالة القرآن الكريم على وجهها الصحيح، وحفظه من التحريف المعنوي الذي يلجأ إليه أهل الأهواء؛ ليستخرجوا منه معاني توافق أهوائهم؛ **فلا يُعقل أن يكون القرآن تبيانًا لكل شيء، ويترك بيان أصول الفهم الصحيح لذلك التبيان!!. وهدف** هذا البحث هو تتبع تلك الأصول والأمهات واستنباطها من آيات القرآن الكريم، وأعتقد أن هذه كانت هي الخطوة الأولى التي يجب أن يبدأ بها المؤلفون في أصول التفسير مؤلفاتهم.

قال العلامة ابن الوزير (ت: ٨٤٠هـ)[2] -رحمه اللَّه-عن القرآن الكريم: "...لو كان لكل مبتدعٍ أنْ يحملُه على ما يُوافق هواه؛ بَطُلَ كونه فرقاً بين الحق والباطل، وقد ثبت أنه يقذفٍ بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق؛ وهذا لا يتم إلا بحراسته من دعاوى المبطلين في تصرفاتهم، واحتيالهم على التشويش فيه، ولبس صوادعه

(١) يُقصد بالقراءة المعاصرة: الاتساع في استخدام مناهج الغربيين وتنزيلها كيفما اتفق على النص القرآني، ومعاملته كما يُعامل النص البشري دون نظر إلى خصائصه الثابتة من الربانية والحفظ والتيسير للذكر وغيرها، ودون الالتفات إلى مناهج علماء الإسلام في فهم النصوص والاستدلال بها. يراجع في ذلك كتاب " النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر" تأليف د قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية الأولى ١٤٣١-٢٠٢٠.

(٢) ابن الوَزِير (٧٥٨-٨٢٢ هـ = ١٣٥٧-١٤١٩ م) الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الحسني، جمال الدين ابن الوزير: باحث، من علماء الزيدية باليمن. ولد في هجرة الظهر، من شظب. وأقام بصنعاء. ورحل إلى صعدة ومكة. ومات بذمار. الأعلام للزركلي (٨/ ٥٨) المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر -أيار/ مايو ٢٠٠٢ م.

وقواطعه بخوافيه".[١] **قلت**: وبيان (أصول التفسير أو أمهات بيان القرآن) المستنبطة من القرآن الكريم هو أقوى الدروع التي تحرس بيان القرآن وتفسيره من تأويل الجاهلين وتحريف الغالين.

منهج البحث: المنهج العلمي هو" الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تُهيمن على سير العقل وتُحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[٢]. وقد سار البحث وفق منهج التفسير الموضوعي وخطواته أما الاستنباط: فقد اجتهدت أن يكون صحيحًا، خاليًا من التكلف والغموض، مدعومًا بأدلة وقرائن منطقية، أو لغوية، أو نقلية[٣].

ملحوظة منهجية: نظراً لاتساع موضوع البحث وكونه يبحث في الأصول والأمهات فقد أقمته على الإيجاز غير المخل ولم أتطرق إلى جزئيات قد تشوش على الموضوع الأساس للبحث.

خطة البحث: حددت طبيعة البحث خطته بحيث يحتوي على مقدمة وعشرة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة فتحتوي على العناصر الآتية: أضواء على مصطلحات العنوان، أهمية البحث، الدراسات السابقة، أغراض البحث، أسئلة البحث، منهج البحث، خطة البحث.

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد (ص: ١٤٦) المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد اللَّه، عز الدين اليمني (المتوفى: ٨٤٠هـ) الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت. الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

(٢) أصول البحث العلمي ومناهجه للدكتور أحمد بدر ص ٢٥٠ – وكالة المطبوعات الكويتية، ط ٧- ١٩٨٤م، توزيع دار القلم بيروت، نقلاً عن (التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد) للدكتور عبد الغفور مصطفى. ص ٣٤٠. ط دار السلام ط الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٣) سبق الحديث عن معنى التحليل والاستنباط في بيان مصطلحات العنوان.

وأما المباحث العشر فكانت كما يأتي:

المبحث الأول: من حقائق القرآن الكريم: "تقريره عقيدة أن القرآن الكريم كلام اللَّه تعالى بلفظه"، وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

المبحث الثاني: من حقائق القرآن "بيان القرآن للقرآن" وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

المبحث الثالث: من حقائق القرآن " بيان القرآن من وظائف النبوة " وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

المبحث الرابع: من حقائق القرآن "تحديد القرآن اللغة التي تنتمي إليها ألفاظه وأساليبه" وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

المبحث السادس: من حقائق القرآن: "حرمة استخدام المصطلحات الملتبسة التي يتحقق بها أغراض خصوم الإسلام". وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

المبحث السابع: من حقائق القرآن " أنه كتاب عالمي أنزله اللَّه للناس كافة " وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

المبحث الثامن: من حقائق القرآن "تحديد القرآن لطريقة نزوله وبيان الحكمة منها". وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

المبحث التاسع: من حقائق القرآن " تزكية قلوب الصحابة ﷺ والثناء على فهمهم للقرآن" وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

المبحث العاشر: أنواع محرمة من التفسير.

أما نتائج البحث: فقد احتوت على أهم ما توصل إليه منها.

وأخيرًا كانت مراجع البحث مرتبة على حروف المعجم، أعقبها **فهرس المحتويات.**

المبحث الأول

من حقائق القرآن الكريم: "تقريره عقيدة أن القرآن الكريم كلام اللَّه تعالى بلفظه"[(١)]، وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

تمهيد: من الحقائق القرآنية الكبرى التي صرّف القرآن الكريم فيها القول، وأقام عليها الأدلة والبراهين؛ كون القرآن العظيم كلام اللَّه تعالى بلفظه، وأن الرب الجليل قد حفظه من التحريف؛ فهو كلام إلهي خالص يُعبر بلفظه، ومعناه عن علم اللَّه تعالى التام، وحكمته الكاملة، ورحمته التي وسعت كل شيء؛ ومن ثم فإن تفسير القرآن الكريم ينبغي أن يُؤسس على أصولٍ تُراعي تلك الحقيقة الكبرى تحفظُ معناها، وتصونُ حقيتها، في كل ما يُسطره المفسرون؛ فيحرم دينًا، ويُستقبح عقلًا أن يتضمن التفسير شيئًا يتعارض مع تلك الحقيقة أو مع شيء من لوازمها.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٦]. فـ"الباء في قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ للملابسة. واللسان: اللغة، أي نزل بالقرآن ملابسا للغة عربية مبينة أي: كائنا القرآن بلغة عربية. "[(٢)]. ومعلوم أن اللغة تُطلق على الألفاظ، وهذا من أوضح الأدلة على أن القرآن الكريم نزل بلفظه، وهناك آيات تُصرح بنزول الوحي اللفظي للقرآن الكريم منها: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦)﴾ [الأعلى: ٦] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)﴾ [القيامة: ١٧ –١٩] ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)﴾ [المزمل: ٤]. قال العلامة دراز –

(١) مضمون هذا العنوان ألفت فيه مؤلفات كثيرة أقيمت فيها الحجج وشيدت فيها الأدلة ولا تسمح مساحة البحث وحدوده المنحصرة في أصول التفسير بالتطرق إليها، وأُحيل القارئ إلى كتب وازنة في هذا الموضوع وهي: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم للعلامة محمد بن عبد اللَّه دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ). وتنزيه القرآن عن المطاعن، وتثبيت دلائل النبوة. كلاهما للقاضي عبد الجبار أبو الحسين المعتزلي (المتوفى: ٤١٥ هـ).

(٢) التحرير والتنوير (١٩/ ١٩٠) مرجع سابق.

رحمه اللَّه-"...انظر كيف عبر بالقراءة والإقراء، والتلاوة والترتيل، وتحريك اللسان، وكون الكلام عربيًّا، وكل أولئك من عوارض الألفاظ لا المعاني البحتة."[1].

وانبثقت عن هذه الحقيقة مجموعة من أصول التفسير، تتمثل في القضايا الآتية:

القضية الأولى: تبيان القرآن لكل شيء.

قال تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ **تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ [النحل: ٨٩]. كلمة (تبيان) من الفرائد القرآنية التي لم ترد في غير هذه الآية، وأتت بصيغة المصدر للمبالغة؛ فالتبيان هو البيان البليغ؛ فالتاء للمبالغة على قاعدة زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى،" ثم أريد به اسم الفاعل فحصلت مبالغتان، وهو مفعول لأجله. "[2].

معنى العموم في الآية الكريمة:" «**كل شيء**» يفيد العموم إلا أنه عموم عرفي في دائرة ما لمثله تجيء الأديان والشرائع: من إصلاح النفوس، وإكمال الأخلاق، وتقويم المجتمع المدني، وتبين الحقوق، وما تتوقف عليه الدعوة من الاستدلال على الوحدانية، وصِدْق الرسول -صلى اللَّه عليه وسلم-، وما يأتي في خلال ذلك من الحقائق العلمية والدقائق الكونية، ووصف أحوال الأمم، وأسباب فلاحها وخسارها، والموعظة بآثارها بشواهد التاريخ، وما يتخلل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم وصنائعهم. وفي خلال ذلك كله أسرار ونكت من أصول العلوم والمعارف صالحة لأن تكون بياناً لكل شيء على وجه العموم الحقيقي إنْ سُلك في بيانها طريق التفصيل، واسْتُنير فيها بما شرح الرسول -صلى اللَّه عليه وسلم-وما قفاه به أصحابه وعلماء أمته، ثم ما يعود إلى الترغيب والترهيب من وصف ما أعد للطائعين وما أعد

(١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم (ص: ٥٠). المؤلف: محمد بن عبد اللَّه دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ) اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

(٢) التحرير والتنوير (١٤/ ٢٥٣). بتصرف. مرجع سابق.

للمعرضين، ووصف عالم الغيب والحياة الآخرة. ففي كل ذلك بيان لكل شيء يُقصد بيانه للتبصر في هذا الغرض الجليل، **فيؤول ذلك العموم العرفي بصريحه إلى عموم حقيقي بضمنه ولوازمه.** وهذا من أبدع الإعجاز..."[(١)]. **استنباط:** هذه الآية الكريمة تجعل من قضية شروط المفسر وعلومه قضية جوهرية في علم أصول التفسير ؛ ذلك أن الآية تفتح الباب أمام المفسر لإعمال عقله في البحث عن حل لكل معضلة ودواء لكل داء في القرآن الكريم، وهذا يستدعي من المفسر خلفية علمية عظيمة، وملكة استنباطية أصيلة.

فالآية الكريمة تهدي إلى أن القرآن الكريم "محلٌ للاستنباط في جميع علوم الشريعة، ولذا لا تجد علمًا منها إلا وأهله مستدلون بالقرآن على مسائلهم، يدخل في ذلك كلُ ما انتسب إلى العلوم الإسلامية كالعقيدة، والفقه، والحديث، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث، والآداب، والتربية، والسلوك، بل قد استنبط بعضهم من القرآن قواعد في الإدارة، والقيادة وغيرها"[(٢)].

والآية الكريمة تهدي إلى أن قدرة الإنسان العقلية والعلمية والنفسية مهما بلغت لن تستطيع الإحاطة بكل معاني القرآني فهذا الإطلاق والعموم ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يقابله محدودية علم الإنسان وتقيده بعوامل الوراثة والبيئة وطبيعة خلقه ﴿...وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)﴾ [النساء: ٢٨] ﴿.... وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾ [البقرة: ٢١٦]، غاية أمر المفسر أن يأخذ بالأسباب ويستشعر عظمة ما هو مقدم عليه.

وهذا يرشدنا إلى أهمية طريقة التفسير الجماعي التي تقوم على أساس تكوين فريق علماء متخصصين في شتى العلوم يتدارسون القرآن ويتدبرونه وفق خطة ومنهج يثمرا تفسيرًا جماعيًا. ويشهد لصواب تلك الطريقة صيغة الجمع (يَتَدَبَّرُونَ)، في الآية

(١) السابق (١٤/ ٢٥٣، ٢٥٤).

(٢) منهج الاستنباط من القرآن الكريم ص ٦٣ فهد بن مبارك بن عبد اللّه الوهبي ط. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي. الأولى ١٤٢٨هـ. ٢٠٧م.

الكريمة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء: ٨٢، ٨٣].

القضية الثانية: استحالة التناقض على القرآن الكريم من كل وجه.

وتحتوي هذه القضية على خمس مسائل:

المسألة الأولى: استحالة التناقض بين معاني القرآن الكريم بعضها مع بعض.

المسألة الثانية: استحالة التناقض بين معاني القرآن وبين حقائق الكون.

المسألة الثالثة: مشروعية مزاوجة المفسر بين حقائق علوم الكون والنفس وبين معاني القرآن الكريم.

المسألة الرابعة: استحالة التناقض بين أخبار القرآن الكريم وبين حقائق التاريخ.

المسألة الخامسة: استحالة التناقض بين أحكام القرآن الكريم وبين حقائق العدل.

المسألة الأولى: استحالة التناقض بين معاني القرآن الكريم بعضها مع بعض.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء: ٨٢].

الاستنباط: الآية الكريمة رتبت عدم وجود الاختلاف في القرآن الكريم على كونه من عند اللَّه تعالى؛ يقول الإمام ابن جُزي[1] (ت: ٧٤١هـ) -رحمه اللَّه-: "فمن عرضت له شبهة وظن اختلافاً في شيء من القرآن، فالواجب أن يتهم نظره ويسأل أهل

(١) "محمد بن أحمد بن محمد بن جزيّ الكلبي المالكي. من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها. كان -رحمه اللَّه-على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيها حافظا قائما على التدريس، مشاركا في فنون، من عربية، وأصول وقراءات وحديث وأدب، حفظة للتفسير، مستوعبا للأقوال، جمّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، صحيح الباطن، تقدم خطيبا بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنه، فاتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته... توفي شهيدا يوم الكائنة في عام إحدى وأربعين وسبعمائة". انظر: طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٨٥-٨٧) المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

العلم ويُطالع تآليفهم، حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف"[(١)].

قلت: الاختلاف والتناقض إنما يحصل في كلام المخلوقين بسبب عوارض النقص عندهم من نسيان أو جهل أو خفاء وجه الحكمة، واللَّه تعالى منزه عن كل نقص ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) ﴾ [مريم: ٦٤] ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩) ﴾ [الأنعام: ٥٩] ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾ [البقرة: ٢١٦]. ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣)﴾ [الملك: ١٣].

صفوة القول: أن من أمهات بيان القرآن وأصول تفسيره ألا تتعارض نتائج أبحاث المفسرين مع حقيقة كون القرآن كلام اللَّه تعالى بلفظه، أو شيء من لوازمها؛ ومن لوازم تلك الحقيقة القرآنية استحالة التناقض على القرآن من كل وجه؛ ومن فطنة علمائنا -رحمهم اللَّه- أنهم أسسوا علومًا حارسة لهذا الأصل من أهمها علم: (دفع ما يوهم ظاهره التعارض)، وعلم: (توجيه متشابه القرآن)، وعلم: (مشكلات القرآن أو علم كشف الشبهات) وهي من العلوم التي يجب أن يبرع فيها المفسر.

المسألة الثانية: استحالة التناقض بين معاني القرآن وبين حقائق الخلق.

قال تعالى: ﴿...أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ [الملك: ١٤].

﴿...قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

الاستنباط: إذا كان القرآن الكريم كلام اللَّه تعالى وحده، فإن الكون والكائنات هي كذلك خلق اللَّه وحده، فكلام اللَّه عن خلقه هو كلام اللطيف الخبير﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢٠١) بتصرف يسير المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللَّه، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد اللَّه الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت الطبعة: الأولى -١٤١٦ هـ.

خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ [الملك: ١٤] وقد جعل اللَّه تعالى هذا التوافق التام بين معاني القرآن وحقائق الخلق واستمراره مع الزمن من دلائل إثبات حقية أن القرآن كلام اللَّه قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾[فصلت: ٥٢، ٥٣] فالضمير في (أنه) عائد على القرآن الكريم.

موقف المفسر من الآيات المتضمنة لمسائل لم تظهر حقائقها العلمية بعد:

قال تعالى: ﴿... بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)﴾ [يونس: ٣٧-٤٠].

الاستنباط: توضح الآية أن تكذيب المكذبين للقرآن الكريم لا يستند على علم وإنما هو صادر عن جهل فقد كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم تتكشف حقائقه لهم بعدُ، وموقف المفسر من الآيات التي تتحدث عن أسرار في الكائنات لم يتوصل لها العلم البشري يجب أن يكون هو موقف الراسخين في العلم الذين مدحهم اللَّه ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فموقفهم هو الإيمان وإظهار الثقة التامة بما ذكره القرآن الكريم وهذا توجيه قرآني نستنبطه من قوله تعالى أيضًا: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾. فمعاني القرآن التي لا نحيط بعلمها موقفنا منها هو الإيمان لا التكذيب، أو التشكيك، أو الحمل على معنى ضعيف، بل الالتزام الصارم بقواعد اللغة، وأصول التفسير؛ فإن لم يستبن المعنى على وجه صحيح فالتوقف هو الوجه الصحيح إلى أن يأذن اللَّه بكشف حقائق العلم المتعلقة بالآية. ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾ [فصلت: ٥٣].

المسألة الثالثة: مشروعية مزاوجة المفسر بين حقائق علوم الكون والنفس وبين معاني القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾ [فصلت: ٥٢ -٥٤].

الاستنباط: هذا وعد إلهي بُدأ بفعل مضارع دال على الاستقبال (سَنُرِيهِمْ) جُعلت غايته تَبيّن حقيّة القرآن الكريم، وموضوع الوعد هو ظهور مستمر لأدلةٍ وعلاماتٍ في الآفاق والأنفس يتبين بها حقية القرآن الكريم، وهذا يُشعر بالارتباط بين آيات الأنفس والآفاق وبين مدلولات القرآن، وأن هذا التبين لحقية القرآن إنما هو نتيجة المزاوجة والمقارنة بينهما.

دليل من قصص القرآن على ما تقدم:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾ [البقرة: ٢٥٨].

الاستنباط: في آيات قصة إبراهيم -عليه السلام- ما يُؤسس لهذا المنهج؛ بيان ذلك أن إبراهيم -عليه السلام-استخدم حقيقة كونية وآية من آيات اللَّه في الآفاق وهي ﴿... **اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ**...﴾ لإثبات قضية من أهم قضايا الإيمان وهي انفراد اللَّه تعالى بالخلق؛ فقياسًا على ذلك يجوز للمفسر استخدام حقائق العلوم الكونية في بيان معاني القرآن الكريم وإثبات حقيتها قال تعالى: ﴿ **قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾ [البقرة: ٢٥٨].

من أصول التفسير المستنبطة من تلك الحقيقة:

أولًا: لما كانت المعارف البشرية حول أسرار المخلوقات، والسنن الكونية،

معارف متدرجة تراكمية، بينما القرآن الكريم ذكرها دفعة واحدة، بأسلوب معجز يفهمُ منه علماءُ كل عصر ما يوافق الحقائق العلمية التي توصلوا إليها في زمنهم؛ فإن محاولة المفسر المؤهل الربط بين حقائق العلوم الكونية وبين ما يرى أنه يدل عليها من آيات القرآن، هو من باب التفسير بالرأي المحمود، إذا روعيت فيه أصول التفسير وضوابطه، وهذا الأمر تفرضه الضرورة؛ فإن القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية، وقد عرض من أجل ذلك في ثلث آياته تقريبًا للكون والمخلوقات، والعلوم المتعلقة بالكون والمخلوقات تتوصل إلى حقائق علمية بمرور الوقت فالسؤال عن موقف القرآن الكريم من هذه الحقائق العلمية في الآيات القرآنية ذات الصلة بتلك الحقائق، سؤال هدائي بدهي.

ثانيًا: أن المفسر الذي يؤخذ قوله في الاعتبار في تفسير الآيات الكونية في القرآن هو المفسر الذي جمع بين علوم المفسر المتعارف عليها، وبين آخر حقائق العلم الكوني المرتبط بالآية القرآنية محل التفسير، قادرًا على الوقوف على الحقائق العلمية في هذا العلم، مفرقًا بينها وبين النظريات والفروض.

ثالثا: أن المفسر الذي توافرت فيه الشروط السابقة إذا أخطأ في تفسير بعض الآيات القرآنية المتحدثة عن أسرار الكون والكائنات فإن الخطأ –بداهة– خطأُ مفسرٍ لا يتحمل وزره القرآن الكريم فليس من شرط المفسر أن يكون معصومًا؛ فالخطأ في تفسير آيات القرآن الكونية، مثله مثل الخطأ في التفسير اللغوي أو التفسير الفقهي أو غيرهما من أنواع التفسير.

رابعًا: لما كان القرآن كلام اللَّه، والكون خلق اللَّه؛ فلا تعارض بين كلام اللَّه وحقائق خلقه، وكل ما خالف هذا الأصل فهو راجع لخطأ في فهم معنى الآية، أو خطأ في ربط الحقيقة العلمية بها، أو خطأ في فهم الحقيقة العلمية.

خامسًا: لما كان تحريم تفسير القرآن الكريم بالظن من أصول التفسير التي قررها القرآن الكريم، فإن النظريات والفروض العلمية ينطبق عليها هذا الأصل؛ لأنها في

حقيقتها مجموعة من الظنون والاحتمالات ومن ثم يحرم تفسير القرآن الكريم بها.

صفوة القول: هذا أصل من أصول التفسير بيّنه القرآن الكريم ومراعاته واجبة على المفسر، فلا يقرن تفسيره إلا بحقائق العلوم الكونية الثابتة، وكل ما يُظن تعارضه من حقائق العلوم مع معاني القرآن؛ فالخطأ فيه إما ناشئ من حمل معنى الآية على وجه ضعيف في التفسير، أو كون الحقيقة العلمية ليست كذلك؛ وإنما هي في طور النظرية.

المسألة الرابعة: استحالة التناقض بين أخبار القرآن وبين حقائق التاريخ.

قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦)﴾ [الفرقان: ٦] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)﴾ [النساء: ٨٧]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢)﴾ [النساء: ١٢٢]. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)﴾ [الأنعام: ١١٥]. ﴿...قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦].

الاستنباط: تربط هذه الآيات الكريمة بين الصفات الإلهية وبين النص القرآني الكريم وتُبين تَجلي تلك الصفات العلية في النص القرآني الكريم؛ فاللَّه ﷻ وحده هو الذي يعلم السر في السماوات والأرض، ولا أحد أصدق منه حديثًا ولا قيلًا؛ فأخباره تامة الصدق وأحكامه تامة العدل.

الاحتجاج بحقائق التاريخ من منهاج القرآن الكريم في إقامة الحجة:

- **قال تعالى:** ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥].

الاستنباط: أن اليهود والنصارى لما ادعو أن إبراهيم كان يهوديًا ونصرانيًا، أفحمتهم الآية بحقيقة تاريخية قاطعة في بطلان دعواهم وهي أن التوراة والإنجيل إنما نزلت على موسى وعيسى -عليهما السلام-ووجودهما التاريخي كان لاحقًا لوجود إبراهيم عليه السلام.

- **وقال تعالى:** ﴿... قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ **فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ**

عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)﴾ [يونس: ١٥، ١٦].

الاستنباط: استدل القرآن الكريم بحياة النبي – صلى اللَّه عليه وسلم-قبل البعثة على أن القرآن الكريم يستحيل أن يصدر عنه فهو لا يقرأ ولا يكتب ولم تتهيأ له الدراسة والتعلم ولم يتعاطى الشعر أو الخطابة.

توقف المفسر عندما تستشكل عليه تفاصيل حقائق التاريخ المذكورة في القرآن الكريم.

يُؤخذ مما سبق أن المفسر عليه تحقيق مسائل التاريخ قبل تضمينها تفسيره، وعليه التوقف إن خفيت عليه تفاصيل بعض الحقائق التاريخية التي ذكرها القرآن، وهذا ما فعله الصحابي الجليل المغيرة ابن شعبة-رضى اللَّه عنه-عندما أثار نصارى نجران إشكالًا تاريخياً حول آية ﴿... يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨)﴾ [مريم: ٢٨، ٢٩]. فتوقف في الرد حتى عاد من اليمن وسأل النبي –صلى اللَّه عليه وسلم-ونص الحديث هو: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»[1].

صفوة القول: يجب على المفسر مراعاة أن حقائق التاريخ لا يمكن أن تتناقض مع القرآن، وكل ما ظهر خلاف ذلك؛ فمرده إلى حمل الآية على وجه ضعيف في التفسير، أو كون ما ادعي تعارضه مع القرآن ليس من حقائق التاريخ.

المسألة الخامسة: استحالة التناقض بين شريعة القرآن الكريم وبين حقائق العدل.

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٥). كتاب: الآداب. باب: النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء. حديث رقم: ٢١٣٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم. المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

قال تعالى:﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦)﴾ [الأنعام: ١١٤ - ١١٦]. وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

الاستنباط: أنزل اللَّه تعالى القرآن الكريم لمقاصد كبرى أولها توحيد اللَّه تعالى وإفراده بالعبادة والطاعة، وكان من تلك المقاصد تحقيق العدل من خلال الأحكام الإلهية التي تنظم شئون الناس، وقد صرّف اللَّه ﷻ القول في هذه القضية وأبدأ وأعاد فيها كثيرًا في كتابه العزيز؛ لأن من الآفات البشرية المستحكمة اتباع الهوى في تلك القضايا لتحقيق مكاسب زمنية لفئات نافذة في المجتمعات؛ فعن عائشة -رضي اللَّه عنها-أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-فكلمه أسامة، فقال رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-: " أتشفع في حد من حدود اللَّه، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم اللَّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها "[(١)].

وهذه الآفات المستحكمة في المجتمعات البشرية تصبح في بعض الأزمان (ثقافة

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٧٥) كتاب: أحاديث الأنبياء. باب: حديث الغار. حديث رقم: ٣٤٧٥. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-وسننه وأيامه المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد اللَّه البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

غالبة)؛ بسبب من طول الأمد وشيوع الجهل، ثم تتسلل رويدًا رويدًا إلى أقلام من يكتب في التفسير، فربما تخفى عليه حكمة التشريع في أحكام قرآنية مثل الحدود، أو الميراث، أو النكاح والطلاق، أو غيرها؛ فيحمل الآية على غير وجهها تأثرًا بثقافة عصره الغالبة التي قد يشيع فيها أن بعض أحكام القرآن الكريم تتعارض مع مصالح الناس أو مع تحقيق العدل.

صفوة القول: من واجبات المفسر الراسخ في كل عصر مراعاة هذا الأصل و بيان أحكام القرآن على وجهها الصحيح، وإبراز ما يشرق فيها من حكمة التشريع؛ فلا يحاول إخضاع أحكام القرآن لثقافة عصر غالبة، بل يبحث عن علاج لقضايا ذلك العصر من القرآن في حدود أصول الاستنباط الصحيح والتفسير المحمود ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣)﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤] فإن فعل ذلك فسرعان ما ينجلي الأمر وتتغير تلك الثقافة الغالبة بمرور الوقت وتظهر حقية القرآن﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥)﴾ [الإسراء: ١٠٥] وتلك سنة اللَّه:﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)﴾ [الصف: ٨، ٩].

القضية الثالثة: علوم المفسر وملكاته.

تمهيد: اشتمل القرآن الكريم على ألقاب مدحٍ تُشعر بأن من يتصدى لتفسير القرآن الكريم لا بد له من علوم وملكات خاصة وأن من يتوافر فيهم تلك العلوم والملكات هم من يُؤخذ قولهم في الاعتبار ويُرجع إليهم عند التباس الفهم ومن تلك الألقاب:

١. الراسخون في العلم: ﴿...وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)﴾ [آل عمران: ٧].

٢. الذين أوتوا العلم: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ

بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩)﴾ [العنكبوت: ٤٩].

٣. الربانيون: ﴿...وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)﴾ [آل عمران: ٧٩].

٤. أهل الذكر: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣)﴾ [النحل: ٤٣].

٥. أهل الاستنباط: ﴿.... لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

تفصيل وبيان:

أولًا: الربانية جائزة المفسرين المخلصين العاملين الجامعين بين العلم والعمل والتعليم.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)﴾ [آل عمران: ٧٩].

الاستنباط: رتبت الآية الكريمة تحقق الربانية[١] في النفس البشرية على تعلم الوحي الإلهي وتعليمه كما يُفيده الجمع بين القراءتين المتواترتين (تَعْلَمون الكتاب) و (تُعَلِّمُونَ الكتاب)[٢]. **وإذا كانت الآية** تخاطب أهل الكتاب، فإن لفظها عام فتحقق

(١) الربانيون: " هم أرباب العلم الذين يعملون بما يعلمون، وأصله من الرب، كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم، قبل كبارها، وزيدت الألف والنون للمبالغة في النسب كما يقال لحياني وجماني". الغريبين في القرآن والحديث (٣/ ٦٩٨) المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ) تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٩ م.

(٢) قال ابن الجزري: (واختلفوا) في: تعلمون الكتاب فقرأ ابن عامر، والكوفيون بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة. وقرأ الباقون بفتح التاء واللام، وإسكان العين مخففا. النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٤٠) المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.

الربانية بدارسة الوحي الإلهي وتعلمه وتعليمه هي سنة إلهية قائمة لمن أتي أسبابها وطرق أبوابها وقام بحقها.

وأفادت الآية أن تعليم معاني الوحي الإلهي على وجهه الصحيح لا يتأتى إلا لمن تعلم ودرس؛ فقد رتبت حصول الربانية على دراسة الوحي الإلهي (تدرسون)؛ وهو تعبير يدل على التخصص الدقيق في تعلمها وجيء به بصيغة المضارع؛ ليفيد المداومة، يقال: " دَرَسَ الكتابَ " (استخرج معانيه وأذهب صعوبة غموضه والجهلِ به، وغرابتِه"[1]. وهذا أصل ينبغي مراعاته، وهو التحقق من شروط المفسر فيمن يقوم بالتفسير وإلا فلا يؤخذ قوله في الاعتبار. يقول الشيخ محمد أبو زهرة[2] (ت: ١٣٩٤هـ) –رحمه اللَّه– " قُدِّم تعليم علم الكتاب على دراسته لأمرين: **أولهما**: الإشارة إلى جرم أهل الكتاب الذين اتجهوا إلى تعليم الناس أهواءهم بدل أن يعلموهم كتاب اللَّه. **وثانيهما**: أن بيان الدراسة من غير تعليم وتدريس خبط عشواء. وسير في ظلماء؛ كما يحاول ملاحدة اليوم الذين يريدون أن يفهموا القرآن من غير أن يعلموا شيئا حتى علم العربية"[3].

ثانيًا: حاجة الأمة إلى مفسرين راسخين في العلم لديهم ملكة الاستنباط.

- **الرسوخ في العلم**: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٢/ ٦٤٨) مادة (درس). المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

(٢) (١٣١٦ -١٣٩٤ هـ = ١٨٩٨ -١٩٧٤ م) محمد بن أحمد أبو زهرة: أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره أصدر من تأليفه أكثر من ٤٠ كتابا. انظر الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥) مرجع سابق.

(٣) زهرة التفاسير (٣/ ١٢٩٠-١٢٩١) باختصار. المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي.

رَبَّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)﴾ [آل عمران: ٧].

الراسخون في العلم-كما ذكر الإمام الطبري(ت:٣١٠هـ) -" هم: " العلماء الذين قد أتقنوا علمهم، ووَعَوْه؛ فحفظوه حفظًا لا يدخلهم في معرفتهم، وعلمهم بما علموه، شَكٌّ ولا لبسٌ. وأصل ذلك من: "رسوخ الشيء في الشيء"، وهو ثبوته وولوجه فيه " [١]. **قلت**: وجعل الراسخين في العلم في مقابلة الذين في قلوبهم زيغ يُشعر أن من مقتضى الرسوخ في العلم سلامة القلب من الزيغ. والآية الكريمة لقبت من يُعتبر قوله في تفسير القرآن الكريم بالراسخين في العلم، وهو لقب يُشعر بالمدح والثقة، ولقبت من لا يُعتبر قوله في التفسير بالذين في قلوبهم زيغ، وهو لقب يُشعر بالذم والقبح. فأخذُ علم التفسير إنما يكون من الراسخين في العلم الذين يعلمون المحكم ويؤمنون بالمتشابه ويردونه إلى المحكم، والآية تُظهر وجه الحاجة إلى مفسرٍ يجمع بين سلامة القلب من الزيغ، والرسوخ في العلم في كل عصر.

- **ملكة الاستنباط**: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

الاستنباط: " النبط: الماء يخرج من البئر أول ما تُحفر، وإنباطه واستنباطه: إخراجه واستخراجه، فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويُهم"[٢]. والاستنباط من القرآن هو: "استخراج ما خفي من القرآن بطريق صحيح"[٣]. **قال الإمام النووي(ت: ٦٧٦هـ)**:"...الاعتناء بالاستنباط من آكد الواجبات المطلوبة لأن النصوص الصريحة لا تفي إلا بيسير من المسائل الحادثة؛ فإذا أهمل الاستنباط فات القضاء في معظم الأحكام النازلة أو في بعضها واللَّه

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٦/ ٢٠٦) مرجع سابق.

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٥٤١) المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار اللَّه (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة -١٤٠٧ هـ.

(٣) منهج الاستنباط من القرآن الكريم ص ٤٥ مرجع سابق.

أعلم"[1]. **قلت**: وأثبتت الآية خصوصية علمية لأهل الاستنباط هذه الخصوصية دل عليها لفظ الاستنباط نفسه وهو استخراج ما كان خافيًا على الآخرين من معاني الكلام وحقائق الأمور، وعينتهم الآية بأنهم طائفة من أولى الأمر إذا اعتبرنا أن (من) تبعيضية أو هم (أولى الأمر) إن اعتبرنا أن من بيانية والتعبير عنهم بأولى الأمر يشعر بأن الأمة يجب أن توكل أمرها لمن لديهم بصيرة الاستنباط. **يقول الشيخ** العلامة محمد أبو زهرة(ت: ١٣٩٤ هـ)-رحمه اللَّه-: "وهذا الحكم ماضٍ في كل زمان ومكان، فإذا كان النبي -صلى اللَّه عليه وسلم -قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، فإنه قد ورَّث العلم لطائفة من أمته هم أولو العلم وأولو الأمر، وأهل الفقه في الدين، فيجب على المسلمين أن يردوا مثل هذه الأمور إليهم، لأنهم إذا ردوا الأمر إليهم (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُم) أي يستخرجون معناه، ويبينون فحواه، فإذا الأمر معلوم، والحق واضح لَا شبهة فيه، ولا غموض. والاستنباط هو استخراج الماء من البئر، فشبهت الأفكار التي تدور في خَلَد الإنسان بالماء الذي في البئر، والعلماء يستخرجون هذه الأفكار ويكشفون عن معناها، فيعلمون ما ينبغي أن يقال وما يجب أن يُستر ويُكتم فلا يشيع بين الناس. وفى تلك الجملة دليل على جواز اجتهاد العلماء في الأمور الفقهية عن طريق القياس، والحكم بما يبينه ذلك القياس، ما لم يكن هناك نص من القرآن أو السنة، وما لم يكن هناك إجماع"[2].

صفوة القول: حدد القرآن الكريم صفات من تلجأ لهم الأمة في فهم القرآن الكريم واستنباط معانيه وأحكامه وهم الراسخون في العلم المتمرسون بالاستنباط ودقة الفهم؛ فتفسير القرآن ليس لكل من أمسك قلمًا، أو لبس عمامة، أو تحصل على شهادة؛ وإنما هو ثمرة عمر من العلم النافع، والعمل الصالح، والتعليم الدائم، والتأليف

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١/ ٥٧، ٥٨). المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

(٢) زهرة التفاسير (٤/ ١٧٨٢) مرجع سابق.

المتخصص، والدعوة المخلصة لدين اللَّه.

القضية الرابعة: أحوال قلوب المفسرين وأثرها في التفسير.

وصف اللَّه القرآن الكريم ببعض ما وصف به نفسه فقال سبحانه عن ذاته العلية ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ **إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١)**﴾ [الشورى: ٥١] ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** (٤)﴾ [الزخرف: ١ -٤] فلما كان القرآن كلام اللَّه تعالى بهذه الصفات العلية؛ فقد جعل -سبحانه وتعالى- من خصائصه ألا يفتح دقائق فهمه وأسرار هدايته إلا على قلوب اتصفت بصفات خاصة، ومن نصب نفسه لتفسير القرآن هو أولى الناس بذلك ورحم اللَّه مفسرٍ استشعر أحوال قلبه قبل أن يتكلم أو يكتب في تفسير القرآن؛ فالألسنة والأقلام إنما هي ترجمان القلوب، والكلام المسطور أو الملفوظ إنما هو قطعة من قلوب كاتبيه وناطقيه، صفاء ونورًا وتأثيرًا، أو عكس ذلك نسأل اللَّه السلامة والمغفرة.

يقول الإمام الحارث المحاسبي (ت:٢٤٣هـ)-رحمه اللَّه-[(١)]: "إِذا عظم فِي صدرك تَعْظِيم الْمُتَكَلّم بِهِ لم يكن عنْدك شَيْء أرفع وَلَا أشرف وَلَا أَنْفَع وَلَا ألذ وَلَا أحلى من اسْتِمَاع كَلَام اللَّه -جلّ وَعز- وَفهم مَعَاني قَوْله تَعْظِيمًا وحبا لَهُ وإجلالا إِذْ كَانَ تَعَالَى قَائِله فحب القَوْل على قدر حب قَائِله وَكَذَلِكَ نجده فِي فطرنا فِيمَا بَيْننَا وَبَين الْخلق نحب قَول الْأَخ والقرابة والعالم والشريف على قدر محبتنا لَهُ ونُجل قَوْله ونُعظم ونُردد ذكره ونتفهم مَعَانِيه على قدر حبنا لَهُ وإجلالنا لَهُ"[(٢)].

(١) الحارِث المُحَاسِبي (٠٠٠ -٢٤٣ هـ = ٠٠٠ -٨٥٧ م) أبو عبد اللَّه: من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مُبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١٥٣) مرجع سابق.

(٢) فهم القرآن (ص: ٣٠٢) المؤلف: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد اللَّه (المتوفى: ٢٤٣هـ) المحقق: حسين القوتلي الناشر: دار الكندي، دار الفكر – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٨.

تفصيل ما تقدم في مسألتين: المسألة الأولى: مركزية القلب في فهم القرآن.

المسألة الثانية: صفات قلب المفسر المنشود. وتشتمل المسألة الثانية على نقطتين: **الأولى**: صفات التخلي. **الثانية**: صفات التحلي.

المسألة الأولى: مركزية القلب في فهم القرآن الكريم.

مفسر القرآن الكريم أحوج الناس إلى قلب سليم بصير؛ فالقرآن كما يخاطب العقل، فهو كتاب قلوب؛ على قدر صفائها يتجلى نور القرآن فيها، ولما كان قلب النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- أصفى القلوب وأطهرها خصه اللَّه بالاصطفاء وأنزل على قلبه القرآن ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤)﴾ [الشعراء: ١٩٢ -١٩٤]. **قلت**: واختيار القلب هنا يشعر بمزيد تعلق القرآن بوظائف القلب. كما أسند له ﷺ مهمة بيانه فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾ [النحل: ٤٤]. **والعلاقة** بين تفاوت أنواع القلوب وأحوالها، وبين درجات فهم القرآن والتأثر به أمرٌ تحدّث عنه القرآن كثيرًا وصرّف فيه القول؛ لأهميته البالغة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. **ولعلك** تلحظ أن الآية اشترطت لحصول الذكرى بالقرآن أن يكون للإنسان قلب حاضر خال من الغفلة وموانع الفقه، فمن له قلب تمكنت منه موانع الفقه فهو بمثابة من لا قلب؛ **ويؤصل** الإمام القرافي[1] (ت: ٦٨٤ هـ) -رحمه اللَّه- لهذا المعنى فيقول: " تقرر في علم البيان[2] أن الشيء كما يُنفى لنفي ذاته فإنه يُنفى أيضاً لنفي ثمرته والمقصود منه كقوله

(١) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤ هـ). وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة. له مصنفات جليلة في الفقه والأصول. انظر الأعلام للزركلي (١/ ٩٥) مرجع سابق.

(٢) علم البيان: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. التعريفات (ص: ١٥٦) مرجع سابق.

تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ...﴾ [ق: ٣٧] "[١]. فمفهوم الآية ينفى وجود قلب لمن لم يحقق الغرض الذي هو له موجود وهو التفهم والتدبر والانتفاع. يقول الإمام الحارث المحاسبي(ت:٢٤٣هـ) -رحمه اللَّه-مستشهدًا بهذه الآية: "...ما أقبل عبد على اللَّه -جل وعز-إلا أقبل اللَّه عليه وأسرع إليه الإجابة؛ فكذلك إذا أقبل على اللَّه تعالى وذكره بطلب الفهم أسرع إليه بالإفهام له وكذلك ضمن للمقبلين إليه بعقولهم لفهم كلامه عنه فقال عز وجل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] ... وفهم كتاب اللَّه يورثه النفس الثابت في القلب فإذا ثبت فكأنه يعاين ربه -جل وعز-ووعده ووعيده "[٢].

المسألة الثانية: صفات قلب المفسر المنشود:

الأصل في مفسر القرآن أنه رجل مؤمن صالح مصلح يُحاول شرح رسالة اللَّه إلى خلقه وتقريب معانيها لهم، ولن يتأتى له ذلك على وجه صحيح إلا إذا تخلى وتنزه عن صفات قلوب المنافقين والكافرين والفاسقين. وتحقق وتحلى بصفات قلوب المؤمنين خاصة ما ربط اللَّه بينه وبين فهم القرآن حصولًا أو حرمانًا. وهذا ما سأعرضه مختصرًا في هاتين النقطتين.

النوع الأول: صفات التخلي: قلب المفسر المنشود هو قلب خال من الصفات والأحوال الآتية:

١. **قلوب الغافلين** الذين قال اللَّه فيهم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا

(١) الاستغناء في الاستثناء ص ١٥٥ باختصار. تأليف: شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي (ت٦٨٤هـ) ط: دار الكتب العلمية-بيروت. الأولى ١٤٠٦هـ١٩٨٦م. ت: محمد عبد القادر عطا. وانظر كلام الإمام عبد القاهر الجرجاني حول هذه الآية في دلائل الإعجاز ت شاكر ص ٣٠٤. المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة -دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٢) فهم القرآن (ص: ٢١٣، ٣١٢) مرجع سابق.

يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف: ١٧٩]. قال الحارث المحاسبي(ت:٢٤٣هـ): "لا يثقل فهم كلامه إلا على من تعطل قلبه ألا يسمع وربنا -جل وعز- يقول: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)﴾ [الأنفال: ٢٣] فأخبر أنه لو علم فيهم خيرا لأفهمهم لأنهم لم يكونوا صما وكانوا يسمعون قراءة النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- ولكن ضيعوا الفهم ألا تسمعه يقول ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف: ١٧٩]"[1].

٢. **القلوب العمياء** التي قال اللَّه تعالى فيها: ﴿... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾ [الحج: ٤٦].

٣. **القلوب ذوات الأقفال:** ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ [محمد: ٢٤].

٤. **القلوب ذوات الأكنة:** ﴿... وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥].

٥. **القلوب المصروفة عن آيات اللَّه:** ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦)﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٦. **القلوب المحرومة من العلم بآيات اللَّه:** ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧)﴾ [التوبة: ٩٧]. ومفهوم المخالفة يدل على أن المؤمنين المخلصين أجدر أن يعلموا حدود ما أنزل اللَّه على رسولهﷺ.

(١) فهم القرآن (ص: ٣٢٣) مرجع سابق.

٧. **قلوب المجرمين:** ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١)﴾ [الشعراء: ٢٠٠ -٢٠١]. قال ابن قتيبة: "يعني: التكذيب، أدخلناه ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾"(١).

٨. **قلوب مطبوع عليها:** ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩)﴾ [الروم: ٥٨، ٥٩]. ﴿... كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)﴾ [غافر: ٣٥]. ﴿...كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١)﴾ [الأعراف: ١٠١].

٩. **قلوب فيها زيغ:** ﴿...فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ...﴾ [آل عمران: ٧].

١٠. **قلوب قاسية:** ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)﴾ [المائدة: ١٣].

تفصيل حول زيغ القلوب وقسوتها وأثرهما على التفسير:

أولًا: زيغ القلوب وأثره في تحريف معاني القرآن:

عن أم المؤمنين عائشة - رضي اللَّه عنها - أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)﴾ [آل عمران: ٧] (٢). قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه،

(١) غريب القرآن (ص: ٣٢١). المؤلف: أبو محمد عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

(٢) قال الإمام الطبري بيان معنى الآية الكريمة:" إن الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الذي أنزل عليك يا رسول اللَّه القرآن، منه آيات محكمات بالبيان، هنّ أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمتك في الدين، وإليه مفزعك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام، وآيات =

فأولئك الذين سمّى اللَّه فاحذروهم» [1].

استنباط من الآية الكريمة:

أولًا: دلت الآية الكريمة التي تلاها النبي ﷺ في هذا الحديث على أن المتشابه لا يُفهم بمعزل عن المحكم؛ يُؤخذ هذا من ذم من يتبع المتشابه منفردًا عن المحكم، ووصفه بزيغ القلب.

ثانيًا: يُستنبط من تعليل اتباع المتشابه بزيغ القلب؛ أن من شروط المفسر النفسية، سلامة قلبه من الزيغ، وهو " ميل عن الحق وانحرافٌ عنه " كما ذكر شيخ المفسرين الطبري (ت ٣١٠ه)[2]. ويلزم عنه أن تعلم فقه القلوب، ومعرفة أمراضها وطرق علاجها، والممارسة العملية لتزكية النفس، والمراقبة الدقيقة لأحوال القلب أصل عظيم، واجب على كل من يتصدى لتفسير القرآن الكريم.

ثالثًا: حددت الآية أصل جامع من أصول نشأة الدخيل في التفسير ألا وهو زيغ القلب. وتنفيذ الأمر النبوي «فاحذروهم» متوقف على دراسة كلام أولئك الذين زاغت قلوبهم فاتبعوا المتشابه، وبيان وجه الخطأ فيه، وجاء في إحدى روايات الحديث: "قد حذركم اللَّه، فإذا رأيتموهم فاعرفوهم"[3]. فبيان الدخيل في التفسير، والتحذير من صرف الناس عن معاني القرآن الأصيلة، إلى معان مُلفقة دخيلة، صاغتها قلوب زائغة

= أخر هنّ متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعاني". ينظر تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٦/ ١٨٣) جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.

(١) صحيح البخاري كتاب: التفسير، باب: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ (٦/ ٣٤) حديث رقم: ٤٥٤٧.مرجع سابق.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٦/ ١٨٣). مرجع سابق.

(٣) روى ابن جرير الطبري هذه الرواية عن عائشة -رضي اللَّه عنها -، وقال الشيخ أحمد شاكر عنها "وهذا إسناد صحيح" (٦/ ١٩٣). تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٦/ ١٩٣) مرجع سابق.

مُنْحرفة، أمر واجبٌ على أهل الذكر.

رابعًا: إذا كان الكفر بالإسلام، وكتابه، ونبيه، هو أخطر أمراض القلوب، بل أصلها جميعًا، فهو زيغ كامل لتلك القلوب عن الحق؛ وعليه فما يكتبه المستشرقون[١] عن القرآن الكريم من ترجمات، ودراسات وأبحاث وما ينحتونه من مصطلحات، ينبغي النظر إليه، والتعامل معه وفق الهدي النبوي: **" أولئك الذين سمّى اللَّه فاحذروهم "** لا أن تؤخذ مأخذ التسليم والتبجيل، أو تُوضع موضع القدوة والاتباع!!

خامسًا: دل مفهوم المخالفة لقوله ﷺ: **" فاحذروهم "** على أن أخذ علم التفسير إنما يكون من الراسخين في العلم الذين يؤمنون بالمحكم والمتشابه؛ وهو يُظهر وجه الحاجة إلى مفسر يجمع بين سلامة القلب، والرسوخ في العلم في كل عصر[٢].

سادسًا: بيّنتْ الآيةُ أن هدفَ الذين في قلوبهم زيغٌ في اتباع المتشابه تحقيق غرضين:

الأول: ابتغاء الفتنة[٣]. فغرض هؤلاء الذين يتبعون (ما تشابه منه) تحويل أثر معاني القرآن في النفوس والمجتمعات إلى نقيضها؛ فإذا كانت معاني القرآن الكريم

---

(١) الاستشراق [illegible] تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٨٧). الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ

(٢) سبق بيان معنى الرسوخ في العلم في مبحث علوم المفسر وملكاته.

(٣) " (ابتغاء) مفعول لأجله و(الفتنة) مضاف إليه (وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ) عطف على ابتغاء الفتنة " إعراب القرآن وبيانه (١/ ٤٥٨). المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(المتوفى:١٤٠٣هـ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية -حمص -سورية، (دار اليمامة -دمشق -بيروت)، (دار ابن كثير -دمشق - بيروت) الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.

تُخرج الناس من ظلمات الفتنة إلى نور الحق، فإنهم بسبب من زيغ قلوبهم ينسجون من معاني المتشابه ما يوقع الفتنة في القلوب والمجتمعات. **ويُؤخذ من ذلك** أنه ينبغي أن يكون من غرض المفسر الراسخ وأد تلك الفتن، والتحذير منها في المواضع المناسبة من تفسيره، وبيان المعاني القرآنية الحقة التي تهدي الناس، وتخرجهم من الحيرة والشك إلى الإيمان، واليقين؛ فمنزلة المفسر الراسخ في العلم؛ تجعله مصلحًا بالضرورة.

الثاني: ابتغاء تأويله. والمراد به هنا، قيامهم ببيان عواقب القرآن الكريم، التي حجبها اللَّه عن البشر، واستأثر بعلمها؛ فهي من الغيب الكلي التام، كموعد قيام الساعة، وهذا المعنى على أن الوقف تام على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] و(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] استئنافية. وأما على وجه كون (الواو) عاطفة، وأن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه؛ فإن ابتغاء التأويل كان مذمومًا ممن في قلبه زيغ لسببين:

الأول: أن قلوبهم الزائغة عن الحق غير مستعدة لتأويل كلام اللَّه على وجهه الصحيح، فما أبعدهم عن الرسوخ في العلم. ومن أجمل ما لاحظه الإمام الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) في الآية قوله: "... تجريد التأويل عن الوصف بالصحة والحقية إيذان بأنهم ليسوا من التأويل في عير ولا نفير، ولا قبيل ولا دبير وأن ما يتبعونه ليس بتأويل أصلاً، لا أنه تأويل غير صحيح، قد يعذر صاحبه"[(١)].

الثاني: أنهم سلكوا طريقًا مُنْحَرفة ضالة، تؤدي إلى الفهم السقيم لا محالة؛ وهي تبعيض القرآن بأخذ بعض منه-وهو المتشابه-وترك أكثره -وهو المحكم-﴿...كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢/ ٨١) المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد اللَّه الحسيني الألوسي المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ [الحجر: ٩٠ -٩٤][1]. **فاجتمعت فيهم ظلمتان: ظلمة انحراف القلب، وظلمة انحراف المنهج.**

ويؤخذ من ذلك: أن المفسر الراسخ في العلم يجب عليه مراعاة ما يلي:

أولاً: الأخذ بأسباب استقامة القلب والحذر من موجبات زيغ القلوب.

ثانياً: يرجع في فهم المتشابه إلى المحكم ويتبع المنهج الكلي الشامل في تبين معاني القرآن الكريم.

ثالثاً: يقف أمام مغيبات القرآن الكلية موقف المؤمن المسلم بها لا يحاول تأويلها.

ثانياً: قسوة القلب وأثرها في تحريف المعاني:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)﴾ [المائدة: ١٣].

الاستنباط: نقض الميثاق أدى إلى اللعنة واللعنة كان من أثرها قسوة القلوب وقسوة القلوب جعلتهم يحرفون الكلم عن مواضعه و"التحريف الإمالة والإزالة أي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه ويجعلون مكانه غيره، أو المراد أنهم يتأولونه على غير تأويله، وإليه ذهبت طائفة من الفقهاء والمحدثين"[2]. "فإنهم كلما وجدوا شيئاً من كلام اللَّه يشهد بضلالهم حرفوه إلى شهواتهم، وأولوه التأويل الباطل بأهوائهم، فهم يحرفون

(١) عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)﴾ [الحجر: ٩١] قال: «هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه» صحيح البخاري (٦/ ٨١) كتاب: تفسير القرآن باب: قوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)﴾ [الحجر: ٩١] حديث رقم: ٤٧٠٥. مرجع سابق. قلت: والعبرة بعموم اللفظ فمن اتبع المتشابه من القرآن وترك المحكم فقد اقتسم القرآن وجعله عضين.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٣/ ١٣٦) المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف اللَّه الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد اللَّه بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

الكلم ومعانيها"[1]. ومن مقاصد ما ذكره اللَّه تعالى عن تعامل اليهود مع التوراة أن يأخذ المسلمون منه العبرة والعظة في تعاملهم مع القرآن فيتجنبوا ما وقعوا فيه.

النوع الثاني: صفات التحلي:

الإيمان والعمل الصالح، وأثره في صحة فهم القرآن:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ** كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾ [البقرة: ٢٦].

الاستنباط: رتبت الآية العلم بمعاني أمثال القرآن، وحقيتها، على الإيمان، ورتبت الجهل بمعانيها، وإنكار حقيتها على الكفر. كما رتبت الفهم المؤدي للضلال على الفسق، ويدل مفهوم الخطاب على أن الطاعة تُؤدي إلى الفهم الصحيح للقرآن؛ ومن ثم الاهتداء به.

ناشئة الليل وأثرها في فهم القرآن:

﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)** إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** (٨)﴾ [المزمل: ١ -٨].

الاستنباط: " ما تنشأه من قيام الليل أشد مواطأة للقلب، وأقوم قيلا في التلاوة والتدبر والتأمل، وبالتالي بالتأثر، ففيه إرشاد إلى ما يقابل هذا الثقل فيما سيلقى عليه من القول، فهو بمثابة التوجيه إلى ما يتزود به لتحمل ثقل أعباء الدعوة والرسالة.... ولا يثبت القرآن في الصدر، ولا يسهل حفظه وييسر فهمه إلا القيام به من جوف الليل"[2].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦/ ٥٧) المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٣٥٩) باختصار. المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن =

والمفسرون هم أولى الناس بهذه العبادة؛ فإنها زاد قلوبهم للوصول لمعاني القرآن. قال الحارث المحاسبي(ت:٢٤٣هـ): " فإن طلبت الفهم بالصدق أقبل عليك بالمعونة تصديق ذلك في كتاب اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)﴾ [النحل: ١٢٨]"[(١)].

المبحث الثاني

من حقائق القرآن "بيان القرآن للقرآن".

"القرآن يذكر الأمور بعبارات مختلفة مرة إجمالا وأخرى تفصيلا. فما ترك في موضع ذكره في موضع آخر. وقد صرح القرآن بهذه الصفة التي فيه في غير موضع، فهذا أصل راسخ"[(٢)] و" إذا كلام العاقل الصادق يجب أن يُفسر بعضه بعضا ويرد بعضه إلى بعض؛ لأنه كله حق والحق لا يناقض الحق، فكيف بأحكم الكلام وأصدقه؟ ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء: ٨٢][(٣)].

ظواهر قرآنية مُؤَسِسة لبيان القرآن بالقرآن:

الظاهرة الأولى: إحالة القرآن على القرآن: من الظواهر الواضحة في القرآن الكريم ظاهرة إحالة القرآن الكريم على بعضه البعض مما يؤكد معنى أن القرآن كله كالسورة الواحدة.

من أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿... وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ...﴾

= عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ م.

(١) فهم القرآن (ص: ٣٢٣) مرجع سابق.

(٢) التكميل في أصول التأويل (ص: ٤٤) المؤلف: عبد الحميد الفراهي الهندي (المتوفى: ١٣٤٩ هـ). حققه وخرج آياته وأحاديثه محمد سميع مفتي. والكتاب بلا بيانات عن طابعه.

(٣) المختار من كنوز السنة ص ٩٧ للعلامة محمد عبد اللَّه دراز. ط مجمع البحوث الإسلامية.

[النساء: ١٤٠]. وهو إحالة على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)﴾ [الأنعام: ٦٨]

وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ...﴾ [النساء: ١٦٤]. ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)﴾ [الأنعام: ٣٤]. [النساء: ١٢٧]. وهو إحالة على كل ما نزل من قصص المرسلين في السور المكية والمدنية التي نزلت قبل سورة النساء.

وقوله تعالى: ﴿... أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)﴾ [المائدة: ١]. وهو إحالة على كل ما ورد تحريمه من بهيمة الأنعام مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ...﴾ [المائدة: ٣]

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨)﴾ [النحل: ١١٨]. وهو إحالة على قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)﴾ [الأنعام: ١٤٦]

وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)﴾ [الفتح: ١٥]. وهو إحالة على قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)﴾ [التوبة: ٨٣].

وجاء في الحديث النبوي تفسير الإحالة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ

الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)﴾ [الحجر: ٨٧] فعن أبي سعيد بن المعلىﷺ، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-فلم أجبه، فقلت: يا رسول اللَّه، إني كنت أصلي، فقال: " ألم يقل اللَّه: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: «ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن»، قال: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] «**هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته**»[(١)].

فائدة: استيعاب النحاة لحقيقة بيان القرآن بالقرآن وتأثرهم بها في إعراب القرآن:

يقول ابن هشام[(٢)] (ت٧٦١ هـ) -رحمه اللَّه-وهو يعدد أقوال النحاة-في إعراب (لا) في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١)﴾ [القيامة: ١]."..... قيل هي نافية واختلف هؤلاء في منفيها على قولين: أحدهما: أنه شيء تقدم، وهو ما حكي عنهم كثيرًا من إنكار البعث. فقيل: لهم ليس الأمر كذلك، ثم استؤنف القسم. قالوا: وإنما صح ذلك؛ لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، ولهذا يذكر الشيء في سورة، وجوابه في سورة أخرى نحو: ﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦)﴾ [الحجر: ٦، ٧] وجوابه ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)﴾ [القلم: ٢][(٣)].

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٧) كتاب تفسير القرآن. باب ما جاء في فاتحة الكتاب حديث رقم: ٤٤٧٤. مرجع سابق

(٢) عبد اللَّه بن هشام (٧٠٨-٧٦١ هـ) (١٣٠٩ -١٣٦٠ م) عبد اللَّه بن يوسف بن أحمد بن عبد اللَّه ابن هشام الانصاري، المعروف بابن هشام (جمال الدين، أبو محمد) نحوي، مشارك في المعاني والبيان والعروض والفقه وغيرها. ولد في ذي القعدة، وقرأ العربية وأقام بمكة، وتوفي بمصر في ٦ ذي القعدة، ودفن بمقبرة الصوفية. من تصانيفه الكثيرة: قطر الندى وبل الصدى، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب وكلاهما في النحو، شرح الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني في فروع الفقه الحنفي، شرح بانت سعاد، وشرح الشافية وسماه عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب. معجم المؤلفين (٦/ ١٦٤). المؤلف: عمر رضا كحالة الناشر: مكتبة المثنى -بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: ٣٢٨) المؤلف: عبد اللَّه بن يوسف بن أحمد بن عبد اللَّه ابن =

الظاهرة الثانية: تخطئة القرآن لطريقة الفهم القائمة على إهمال الروابط والتكامل بين آيات الوحي. وهي طريقة التعضية والتقسيم.

قال تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ [الحجر: ٩٠ -٩٣].

المعنى: "لفظ المقتسمين افتعال من قسم إذا جعل شيئا أقساما. وصيغة الافتعال هنا تقتضي تكلف الفعل[(١)]. و"معنى المقتسمين على الوجه المختار المقتسمون القرآن. وهذا هو معنى جعلوا القرآن عضين، فكان ثاني الوصفين بيانا لأولهما وإنما اختلفت العبارتان للتفنن"[(٢)].

الاستنباط: أن تقسيم نصوص القرآن الكريم واتباع بعضها وإهمال بعضها الآخر هو من المناهج المحرمة شرعًا، ومفهوم المخالفة أن المنهج المرضي عنه الذي يتوصل به إلى صحيح المعاني هو المنهج الكلي الشامل الذي يستقرئ النصوص والمعاني ويقارن بينها.

ويُبنى على ذلك أن من شرط المفسر الذي يؤخذ كلامه في الاعتبار أن يكون حافظًا للقرآن الكريم مستحضرًا لآياته؛ كثير التلاوة والتدبر؛ حتى يكون على بينة بتلك العلاقات المعنوية التي تربط بين آيات متباعدة في الترتيب لكن يجمع بينها علاقات من حيث المعاني والدلالات.

= يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) المحقق: د. مازن المبارك/ محمد علي حمد اللَّه الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: السادسة، ١٩٨٥. وقد وجهني إلى تلك الفائدة ما قرأته في كتاب: التفصيل في إعراب آيات التنزيل ١٤/ ١٦ (حاشية ٢). تأليف الدكتور/ عبد اللطيف الخطيب والدكتور/ سعد مصلوح والدكتور وا/ رجب حسن علوش. ط: الأولى ٢٠١٥م مكتبة: الخطيب. الكويت.

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ٨٥) مرجع سابق.

(٢) السابق (١٤/ ٨٧).

من صور التعضية والتقسيم التي ذمها القرآن الكريم:

١. **صورة اتباع المتشابه والإعراض عن المحكم:** ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)﴾ [آل عمران: ٧].

٢. **صورة إهمال نصوص معينة من الوحي ومعاملتها معاملة الشيء المنسي:** ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)﴾ [المائدة: ١٣].﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤) [المائدة: ١٤].

٣. **صورة إخفاء كثير من نصوص الوحي:** ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)﴾ [الأنعام: ٩١].

٤. **محاولة فتنة المؤمنين عن بعض نصوص الوحي:** ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩)﴾ [المائدة: ٤٩].

٥. **تبعيض الوحي بغرض تعطيل بعض أحكامه:**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ

وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٨٦)﴾ [البقرة: ٨٤ - ٨٦].

٦. **تخصيص العام بالهوى:** ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦)﴾ [آل عمران: ٧٥، ٧٦].

الظاهرة الثالثة: تحديد القرآن مصطلحاته الخاصة بوحدات نصوصه تقسيمًا وترتيباً (الآية-السورة-الكتاب).

ذكر القرآن مصطلح (سورة-سور) ومصطلح (آية – آيات)، ومصطلح (الكتاب)، وهذه المصطلحات متوافقة مع ما عليه القرآن الكريم من ترتيب ونظام كما حدد القرآن عدد آيات سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)﴾ [الحجر: ٨٧] ويترتب على هذه الظاهرة أن نظام ترتيب القرآن الكريم سورًا وآيات هو وضع إلهي حكيم يشتمل على أسرار ومعان. وهذه الحقيقة هي أساس مشروعية جهود المفسرين الخاصة بالمناسبات[1] بين الآيات والسور، وجهودهم الخاصة التي سطروها تحت مصطلحات مختلفة اللفظ متقاربة المعنى منها " الوحدة الموضوعية للسورة أو نظام السورة، أو النظام المجموعي للسورة، أو الوحدة البنائية للسورة" ومنها " نظام القرآن، أو النظام المجموعي لسور القرآن، أو الوحدة البنائية للقرآن". يقول الإمام الفراهي: "إذا كثرت وجوه التأويل في آية، كان الأمر كاشتراك

(١) "المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة. وفي الاصطلاح: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب اللَّه تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها". مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٥٨). المؤلف: مصطفى مسلم الناشر: دار القلم الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

اللفظ. والحاكم عند اشتراك اللفظ موقع استعماله. فهكذا عند اشتراك الوجوه في آية لا سبيل إلا بالنظر إلى موقع الآية. ومن ههنا ظهرت شدة الحاجة إلى النظام ...ومن ذلك موقع السورة فإن في العلم به نوراً وهدى"[(١)].

المبحث الثالث

من حقائق القرآن " بيان القرآن من وظائف النبوة ".

ذكر القرآن الكريم أن اللَّه -سبحانه وتعالى-كما أنزل ألفاظه على نبيه ﷺ بيّنَ له معانيه، وأمره بتعليم المعاني لأمته كما أمره بتبليغ الألفاظ وجعل ذلك من أهم وظائف نبوته وتوضيح ذلك فيما يلي:

أولًا: حجية التفسير النبوي كانت من أوائل الكليات التي نزل بها القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)﴾ [القيامة: ١٦ -١٩]. هذه الآيات الكريمة من أوائل آيات القرآن الكريم نزولًا[(٢)] فوعده عز وجل في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بيان واضح للمصدر الإلهي للتفسير النبوي للقرآن الكريم، ويستنبط من ذلك أن مقاصد القرآن التي أنزله اللَّه لتحقيقها لا تتم إلا ببيان معانيه على وجهها الذي أراده اللَّه سبحانه وتعالى وهكذا فإن **التفسير مرتبط بالتنزيل من أيامه الأولى.**

ثانياً: تبيين الرسول معاني القرآن الكريم للناس من أهم وظائف النبوة:

قال تعالى: ﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾ [النحل: ٤٤، ٤٥]. فاللام في قوله تعالى: (لِتُبَيِّنَ) للتعليل فجعل علة إنزال الذكر هي تبيين الرسول ﷺ معانيه للناس لتوقف انتفاعهم بالذكر على تبين معانيه؛

(١) التكميل في أصول التأويل (ص: ٤١) مرجع سابق.

(٢) يستنبط ذلك من مضمونها؛ فهو يتعلق بكيفية تلقى النبي – صلى اللَّه عليه وسلم-له، وذلك غالبًا يكون في البدايات ويصرح صنيع البخاري في رواية سبب النزول بذلك فقد رواه في باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ ؟ صحيح البخاري (١/ ٨) حديث رقم: ٥ .مرجع سابق.

فالعلم بالسنة النبوية هو طريق إلى العلم بمعاني كتاب اللَّه سبحانه وتعالى.

ثالثًا: لا تعارض بين القرآن الكريم والسنة المطهرة.

قال البخاري حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا نافع بن عمر، قال: حدثني ابن أبي مليكة، أن عائشة، زوج النبي صلى اللَّه عليه وسلم: كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «من حوسب عذب» قالت عائشة: فقلت أوليس يقول اللَّه تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)﴾ [الانشقاق: ٨] قالت: فقال: " إنما ذلك العرض، ولكن: من نوقش الحساب يهلك "[(١)].

" ففي هذا الحديث فهمت أم المؤمنين عائشة –رضي اللَّه عنها–أن هناك تعارض بين كلامه –صلى اللَّه عليه وسلم–وبين الآية؛ لأن كلامه–صلى اللَّه عليه وسلم–مجمل محتمل لحساب العرض ولحساب المناقشة، فطلبت الجمع بينهما. ويؤخذ من هذا الحديث الشريف: أن الإنسان إذا ما تراءى له تعارض في النصوص. فلا يُسلِم إن لم يجد عنده حلًا، وعليه أن يسأل أهل العلم لحل الإشكال على الأصول الشرعية"[(٢)]

أصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة:

أولًا: أن وحي السنة الذي تضمن معاني القرآن الكريم هو أصل ملزم في تفسير القرآن الكريم، لا يحل لأحد مخالفته؛ لأنه حينئذٍ إنما يخالف وحيًا أوحاه اللَّه لرسوله ﷺ.

ثانيًا: لا تعارض بين القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة فكلاهما وحي.

ثالثًا: أن توجيهات اللَّه ﷻ لرسوله ﷺ المتعلقة بفهم القرآن الكريم ينبغي أن تكون

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٣٢) كتاب: العلم باب: من سمع شيئا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه. حديث رقم ١٠٣. مرجع سابق.

(٢) انظر مختصر صحيح البخاري المسمى جمع النهاية في بدء الخير والغاية ص ٧٣ للإمام أبي جمرة سعد بن سعيد الأندلسي المتوفى سنة ٦٧٥ هـ. ط دار المنهاج الإصدار الثاني – الطبعة الأولى ١٤٤٠ هـ-٢٠١٩ م.

محل عناية تامة من المفسر يجب عليه القيام بها اقتداء بالمفسر البشري الأكرم والأعظم محمد -صلى اللَّه عليه وسلم-مع مراعاة ما قام عليه دليل أنه من خصوصياته الشريفة عليه الصلاة والسلام.

ثالثًا: أن المفسر الذي يؤخذ قوله في الاعتبار لا بد أن يكون عالماً بالسنة النبوية رواية ودراية؛ حتى يتمكن من القيام بهذا الأصل والالتزام به على وجهه الصحيح فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

المبحث الرابع

من حقائق القرآن "تحديد القرآن اللغة التي تنتمي إليها ألفاظه وأساليبه" أصول التفسير المترتبة على هذه الحقيقة.

من الأمور التي صرّف القرآن فيها القول، وكرره لأهميته البالغة، بيان اللغة التي تنتمي إليها ألفاظه وتراكيبه وأساليبه؛ فبّين القرآن أن من سنن اللَّه المطردة في إرسال الرسل أن يكون كل رسول ناطقًا بلسان قومه قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾ [إبراهيم: ٤] قال الإمام ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) -رحمه اللَّه-: "اللسان: اللغة وما به التخاطب. أطلق عليها اللسان من إطلاق اسم المحل على الحال به، مثل: سال الوادي والباء للملابسة، فلغة قومه ملابسة لكلامه، والكتاب المنزل إليه لإرشادهم."[(١)]. وقال الإمام ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) -رحمه اللَّه-"هذا من لطفه تعالى بخلقه: أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم"[(٢)].

ولم يكتف القرآن بهذه الإشارة الضمنية إلى عربية القرآن بل صرح بكون القرآن

(١) التحرير والتنوير (١٣/ ١٨٦) مرجع سابق.

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٤٧٧). المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م.

عربي، فقال سبحانه: ﴿...وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)﴾ [النحل: ١٠٣] و"المبين: الموضح الدلالة على المعاني التي يعنيها المتكلم"[(١)]. وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧] و" المعنى أنه حكمة معبر عنها بالعربية. والمقصود أنه بلغة العرب التي هي أفصح اللغات وأجملها وأسهلها، وفي ذلك إعجازه. فحصل لهذا الكتاب كمالان: كمال من جهة معانيه ومقاصده وهو كونه حكما، وكمال من جهة ألفاظه وهو المكنى عنه بكونه عربيا، وذلك ما لم يبلغ إليه كتاب قبله؛ لأن الحكمة أشرف المعقولات فيناسب شرفها أن يكون إبلاغها بأشرف لغة وأصلحها للتعبير عن الحكمة"[(٢)].

قلت: وهذا التصريح القرآني بكونه كتاب عربي كان كأنه ختم القدر الإلهي الذي صبغ اللغة العربية بصبغة الخلود فليس في التاريخ كتاب خلّد لغة وأبقاها حية بقواعدها وألفاظها وأساليبها أكثر من (١٤٠٠) ألف وأربعمئة عام سوى القرآن العربي الذي خلد لغته.

يقول الأستاذ رؤوف أبو سعدة: "ولفظ "المبين" حيثما ورد في كل القرآن – وقد ورد لفظه نعتا للمعرفة والنكرة ١١٩ مرة – لا يعني الإفصاح والإبانة، وإنما يعنى حيث ورد، تأكيد اكتمال تحقق الصفة في الموصوف. إليك بعض الأمثلة، وعليك بالباقي في مواضعه من المصحف: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧)﴾ [الأعراف: ١٠٧] أي ثعبان حق، لا شك في ثعبانيته. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥)﴾ [يوسف: ٥] أي هو العدو يقينًا، لا خفاء لعداوته. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١)﴾ [الفتح: ١] أي أن صلح الحديبية وإن تجهمه أول الأمر بعض أجلاء الصحابة، ليس فتحًا فحسب وإنما هو فتح حق، ليس له إلا هذا الاسم. ﴿...هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] يصف نفسه تباركت أسماؤه، أي هو عين الحق جل جلاله، لا يماري فيه أحد. من

(١) التحرير والتنوير (١٣/ ١٦٠) مرجع سابق.

(٢) السابق.

هنا تدرك أن وصف لغة القرآن بأنها لسان عربي مبين، يعنى أنه بلسان عربي بيّن العربية، أو هو حق العربية، لا يماري في عربيته إلا جاهل بالعربية نفسها. وليس القرآن عربيا فحسب، وإنما هو القول الفصل: قمة البيان، وذروة الإبانة. والإبانة شرط لا بد منه لبلاغ خاتَم، كمل به وحي السماء ليس بعده مستدرك. وهي أيضا شرط لا بد منه لرسالة تخاطب الكافة لا مكان فيها لمتنطس أو متحنث ولا تعويل فيها على كهنوت أو كهانة. وهي أخيرا شرط لا بد منه لرسالة لا تطلب التصديق فحسب وإنما هي بالدرجة الأولى رسالة تطلب العمل على مقتضى هذا التصديق. ولا يصح التكليف بغير إبانة. لهذا فقد برئ القرآن من العجمة والعوج. والالتفات إلى هذه النعمة واجب وشكرها أوجب. فـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١)﴾ [الكهف: ١، ٢] كما علمنا الحق أن نقول، جل ثناؤه."[(١)].

أصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة:

أولًا: أن فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم، وجمله، وتراكيبه، وأساليبه، راجع إلى متن اللغة العربية المحفوظ في معاجمها لفظًا واشتقاقًا ودلالة، وكتب علومها التي حفظت قواعد تصريفها واشتقاقها، وقواعد نحوها وإعرابها، وأصول بلاغتها، وأنواع أساليبها وطرق تعبيرها في شعرها ونثرها.

ثانيًا: أن المفسر الذي يُؤخذ قوله في الاعتبار لا بد أن يكون عالماً بكل تلك العلوم متمكنًا من أصولها قادرًا على تحقيق مسائلها؛ حتى يتسنى له فهم القرآن على وجه صحيح، وهذا شرط بدهي لازم لفهم كل كتاب فلا بد من فهم لغته أولًا.

ثالثًا: بما أن القرآن الكريم بوجوه قراءاته المتواترة كلام اللَّه تعالى بلفظه نزل باللغة العربية؛ فإنه يتصف بصفات الكمال من حيث الألفاظ والتراكيب والأساليب اللغوية؛ فما ظُن من تعارض بين بعض القواعد المدونة في كتب اللغة؛ أو بعض آراء البصريين أو الكوفيين وبين ما جاء به القرآن الكريم ، فإن القرآن الكريم هو المرجع الموثوق للغة

(١) العلم الأعجمي في القرآن ١/ ٤٧. للأستاذ رؤوف أبو سعدة. مرجع سابق.

العربية؛ تصحح به تلك القواعد وطريق النحاة الصحيح يجب أن يكون هو طريق الفقهاء فكما أجمع أئمة الفقه على مقولة: (إذا صح الحديث فهو مذهبي) فإن الواجب على النحاة أن يتمذهبوا بمذهب الفقهاء فيقولوا (إذا صح وجه من الإعراب في قراءة متواترة فهو مذهبنا).

رابعًا: يجب على المفسر ألا يحمل الآية المفسرة على وجه ضعيف في اللغة بل يتحرى أقوى الوجوه وأفصحها؛ فإن القرآن الكريم كما وصفه اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤)﴾ [الزخرف: ٣، ٤] فالقرآن (عليٌ) في لغته كما هو (عليٌ) في أحكامه أليس هو كلام العلي الحكيم تباركت أسماؤه!!! بلى؛ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١)﴾ [الشورى: ٥١].

المبحث الخامس

من حقائق القرآن الكريم: (الالتزام الدقيق بمنطوق الألفاظ ودلالاتها).

توطئة: يمكن القول إن أي لغة من اللغات هي عقد وميثاق غليظ بين الناطقين بها؛ بها يتخاطبون وبها يتعاقدون وعلى دلالاتها يبنون مواقفهم عداءً وموالاةً حبًا وكرهًا عطاءً ومنعًا خوفًا وأمناً. ولما كان القرآن الكريم أنزله اللَّه باللغة العربية؛ فإن هذه اللغة بأصولها وقواعدها وألفاظها وتراكيبها وأساليبها هي الطريق الأول لفهم مدلولات القرآن الكريم ويمكن القول إنها (**عقدُ الفهم**) بين القرآن وبين المخاطبين به. ومع أن هذه حقيقة بدهية لازمة لكل كتاب مهما كانت لغته إلا أننا وجدنا من يسعى لتشكيك الناس حتى في مثل تلك البدهيات؛ فأصحاب ما يسمى بالقراءة المعاصرة[1] للقرآن يسعون إلى عزل الألفاظ عن مدلولاتها؛ فلكل قارئ أن يكسو الألفاظ من الدلالات ما

(١) سبق التعريف بمصطلح القراءة المعاصرة في حاشية فقرة أسئلة البحث وللتوسع في معرفة حقيقتها يرجع إلى كتاب. النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر" تأليف د قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية الأولى ١٤٣١-٢٠٢٠.

يشاء، فغرض المؤلف من كلامه لا يهم ولا يؤثر في فهم النص؛ لأنهم يُؤصلون لنظرية موت المؤلف؛ فالقارئ هو المؤلف وهو القارئ في ذات الوقت!!! فمعنى اللفظ عندهم ليس هو الموجود في كتب متون اللغة العربية، ومعاجمها التي جُمعت من ألسنة العرب الأقحاح، وإنما هو معنى متحرك يتغير من قارئ إلى قارئ، وليس فقط من عصر إلى عصر؛ فلا شيء ثابت من معاني الألفاظ، وهذا الجنون التام الذي لا يقبلون تطبيقه في نصوص تعاملاتهم الاجتماعية، والمالية، وعقودهم التي يبرمونها، يريدون تطبيقه على ألفاظ القرآن الكريم!!! هذه الخزعبلات التي يطلقون عليها نظريات لو أخذت بها البشرية لما تقدمت في أي مجال معرفي خطوة واحدة، بل لأفقدت الإنسانية إنسانيتها بل سيكون البشر أمة حيوانية غير متجانسة لا تتفق على شيء البتة وأمم الحيوان ستكون أرقى منها فبين كل أمة منها ما يجمعها بينما هم لا يتفقون على معاني الألفاظ التي ينطقون بها!!! فأي خبل وأي جنون بعد هذا!!!. فهذا الأصل القرآني من أصول التفسير، يُبطل تلك الفتنةً التي كانت قديماً حرفة (الباطنية)[1]. وفي العصر الحديث أصبحت حرفة (الحداثيين-وأصحاب القراءة المعاصرة)، ويجمع بينهما العبث بمدلولات الألفاظ، وتفسيرها بغير ما وضعت له من المعاني، وتجاوز قواعد اللغة، وقوانين الحقيقة والمجاز.

مشاهد قرآنية حاسمة حول وجوب الالتزام بمنطوق اللفظ ودلالاته:

المشهد الأول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا

(١) االباطنية: هم جماعة ترى أن لظواهر النصوص والأخبار بواطناً، وهم طوائف عديدة تلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص، وإخراجها عن معانيها الظاهرة، وهم بذلك يهدمون الدين، ويبطلون شعائره وأحكامه. انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٩٨). المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) الناشر: مكتبة الخانجي –القاهرة.

يَفْسُقُونَ (٥٩)﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩].

وجه الدلالة: أنهم استخدموا لفظًا مختلف الدلالة عن اللفظ الذي أمروا به فحق عليهم العذاب.

تنزيل: إن ما تدعو له القراءة المعاصرة فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم هو ذاته ما فعلته بنو إسرائيل حين بدلوا قولًا غير الذي قيل لهم، ولما كان القرآن قول محفوظ لا يمكن تبديله؛ فقد لجأوا إلى تبديل المعاني لا تبديل الألفاظ؛ فقرروا أن يُفرغوا ألفاظ القرآن الكريم من معانيها المستقرة في اللغة العربية وقد سبق الحديث عن ذلك.

المشهد الثالث: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ[1] فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)﴾ [البقرة: ٣٧].

المشهد الرابع: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾ [البقرة: ١٢٤].

وجه الدلالة: أن آدم -عليه السلام- تلقى كلمات اللَّه من غير تبديل تلقي القبول والامتثال؛ فتاب اللَّه عليه، وكذلك إبراهيم الخليل -عليه السلام- فقد تلقى أوامر اللَّه كما بلغته وأتم القيام بها فكان للناس إماماً. وهذا يناقض فعل بنو إسرائيل الذين بدلوا قول اللَّه فحُرموا من التوبة، وحق عليهم العذاب.

المشهد الخامس: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)﴾ [الحجرات: ١٤، ١٥].

وجه الدلالة: ثبوت الفرق بين مدلول كلمة ﴿آمنا﴾ وكلمة ﴿أسلمنا﴾ وهذا يوجب على المفسر التدقيق في الفروق بين دلالات الألفاظ المتقاربة المعاني، فكل

(١) فسرت تلك الكلمات بما جاء في سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾ [الأعراف: ٢٣، ٢٤].

لفظ له دلالته الخاصة، كما يؤصل هذا المنهج القرآني لبحوث المفردة القرآنية ودلالتها الدقيقة وتأثر معانيها بالسياق الحالي والمقالي. **كما تهدي الآية** إلى أن الصدق هو نصف البلاغة بل هو أساسها الذي لا تقوم إلا عليه فالصدق مطابقة الخبر للواقع كما أن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهؤلاء تجاوزوا في دعواهم الإيمان لأنفسهم مقتضى حالهم الذي لما يزل في مرتبة الإسلام.

المشهد السادس: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)﴾ [النساء: ٩٤].

وجه الدلالة: أن اللَّه سبحانه وتعالى نهي المؤمنين عن إهدار لازم معنى إلقاء السلام وهو الحكم بإيمان من يتلفظ به ويؤخذ من هذا أن مدلولات الألفاظ يجب أن تحترم وتبنى الأحكام على مقتضاها.

المبحث السادس

من حقائق القرآن: "حرمة استخدام المصطلحات الملتبسة التي يتحقق بها أغراض خصوم الإسلام". وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

قال تعالى: ﴿... مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)﴾ [النساء: ٤٥، ٤٦]. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)﴾ [البقرة: ١٠٤، ١٠٥].

توضيح وبيان: قال العلامة محمد عبد اللَّه دراز (ت: ١٣٧٧هـ) -رحمه اللَّه تعالى-عن كلمة (راعنا) التي كان يخاطب بها اليهود النبي-صلى اللَّه عليه وسلم- والتي نهى اللَّه المسلمين عنها: "... هي كلمة ظاهرها الأدب، ولكنها في العبرية لها

معان أخرى حمقاء. وفي العبرانية كلمة شتم قريبة منها؛ فإن لفظ "رع" عند اليهود معناه شقي شرير. ولفظ "راع" معناه الشر والشقاوة فإذا أضيف إلى ضمير المتكلمين صار بلسانهم "راعينو" ومعناه في الخطاب أنت ضرنا وشقوتنا. ولعلهم -واللَّه أعلم-كانوا يلوون ألسنتهم في النطق بها ليقربوها من الصيغة العربية سترًا لنيتهم واكتفاءً بالرمز المفهوم فيما بينهم. فأمر اللَّه المؤمنين أن يُخاطبوا الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقول "انظرنا" حتى لا يجد المنافقون سبيلًا إلى التلاعب بلفظ ذي وجهين، أو أيضًا فإن "راعنا" كلمة يقولها السائل المستقصي يطلب بها إصغاء المسئول إليه حتى يفرغ هو من أسئلته. وتلك عادة اليهود عند إكثارهم من السؤال. فأمر اللَّه المؤمنين أن يحافظوا على حسن الاستماع حتى لا يحتاجوا إلى السؤال، وأن يقولوا "انظرنا" وهي كلمة يقولها المتعلم إذا أراد التثبت مما يقال له لا الزيادة عليه"[1].

وقال القاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥ هـ)[2] -رحمه اللَّه -استنباطاً من النهي القرآني الوارد في الآية الكريمة: "... وفي ذلك دلالة على وجوب تجنب الكلمة إذا أوهمت الخطأ..."[3].

قلت: إذا كان الصحابة ﷺ مُنعوا من قول كلمة (راعنا)؛ سدًا للذريعة؛ لئلا يتحقق غرض اليهود في انحراف المسلمين في خطابهم للنبي الكريم ﷺ، وأمروا باستخدام

(١) النبأ العظيم (ص: ٢٣١) مرجع سابق.

(٢) عبد الجبار بن أحمد القاضي أبو الحسن الهمداني المعتزلي قاضي قضاة الري شيخ الاعتزال توفي سنة أربع عشرة وأربع مائة وقيل سنة خمس عشرة زاد سنة على التسعين وكان كثير المال والعقار ولي قضاء القضاة بالري وأعمالها بعد امتناع منه وإباء وإلحاح من الصاحب بن عباد وهو صاحب التصانيف المشهورة في الاعتزال وتفسير القرآن وكان مع ذلك شافعي المذهب الوافي بالوفيات (١٨/ ٢٠) المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد اللَّه الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث - بيروت عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن. المؤلف: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي الناشر: دار النهضة الحديثة - بيروت عام النشر: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

كلمة (انظرنا)؛ التي تدل على المعنى دون شائبة شبهة ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)﴾ [البقرة: ١٠٤] و(الذرائع) كما ذكر الإمام ابن العربي (ت: ٥٤٣ هـ) [١] أصل من أصول الفقه[٢]، " وهو كل فعل جائز في ذاته، موقع في محذور، أو محظور لعاقبته "[٣] ، فإن أهل العلم مطالبون بالحذر من استخدام مصطلحات الغرب الوافدة إلينا ولا نقصد بذلك مصلحات بحوث العلم التجريبي المادي؛ لأنها لا تختلف باختلاف الأديان والثقافات، اللهم إلا فيما يتعلق باستخدام نتائج هذه البحوث في الخير، أو الشر، وهنا يكمن الفرق؛ فقد وضعت الشريعة الإسلامية ضوابط أخلاقية في استخدامها. أما البحوث الدينية، والأدبية والتاريخية، والاجتماعية، وغيرها، فإن المناهج المتبعة، والمصطلحات المستخدمة فيها ينبغي أن تكون نابعة من روح الأمة وثقافتها، ولغتها، ومرجعيتها العليا المتمثلة في القرآن والسنة؛ لأن ذلك يُؤثر في نتائجها التي تتغلل في ثقافة الأمة وتؤثر في عاداتها، ووعيها، وتصورها للكون والحياة، والأحياء، وصحة فهمها لنصوص الوحي وتراث العلماء. وقد مرت بالأمة الإسلامية فتنٌ عظيمةٌ؛ في قرون خلت بسبب الانسياق وراء مناهج، ومصطلحات الفلسفة اليونانية، والمنطق الأرسطي بعد ترجمة كتبهم، ودمجها في العلوم العربية، والشرعية؛ فعكّرت صفوها،

(١) الإمام العلامة الحافظ القاضي، أبو بكر، محمد بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد اللَّه، ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، صاحب التصانيف. سأله ابن بشكوال عن مولده، فقال: في سنة ثمان وستين وأربع مائة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٥/ ٤٢). المؤلف: شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الحديث-القاهرة. الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢) أصول الفقه: هو العلم بالقواعد التي يُتَوصَّل بها إلى الفقه. انظر التعريفات (ص: ٢٨). مرجع سابق.

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك (٤/ ١٦٢). القاضي محمد بن عبد اللَّه أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني الناشر: دَار الغَرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م.

وعسّرت يسرها ولا زالت تلك العلوم تعاني من ذلك سواء علم الكلام، أو النحو، أو أصول الفقه، أو التفسير أوغيرها، ولعل الإمام أبا حامد الغزالي(ت ٥٠٥)[١]-رحمه اللَّه- حاز لقب مجدد القرن الخامس الهجري دون نزاع[٢]؛ لأنه أخمد فتنتين عظيمتين كادتا تعصفا بالأمة الإسلامية في زمنه بسبب تلك المناهج الوافدة، هما فتنة الفلاسفة، ومصطلحاتهم ومناهجهم، وفتنة الباطنية[٣]، ومصطلحاتهم ،ومناهجهم.

أما الفتنة الأولى: فقد تكفل بالقضاء عليها بكتابه تهافت الفلاسفة.

وأما الفتنة الثانية: فقد أخمدها بكتابه فضائح الباطنية[٤].

إذا كان ذلك كذلك-؛ فإن الامتناع عن استخدام مصطلحات يستخدمها الاستشراق، وما يُعرف بالقراءة المعاصرة في تفسير القرآن الكريم أمر واجب. ولا شك أن اتباع مناهج غير المسلمين في البحث النظري، وما نحتوه من مصطلحات، وما

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الإمام الجليل أبو حامد الغزالي حجة الإسلام ولد بطوس سنة ٤٥٠ وتوفي سنة ٥٠٥ طارت شهرته في الآفاق له تصانيف جليلة منها إحياء علوم الدين والمستصفى في أصول الفقه. انظر ترجمته المسهبة في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/ ١٩١) المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

(٢) ذكر الْحَافِظ السيوطي المجددين في أرجوزة سَمَّاهَا تحفة المهتدين بأخبار المجددين وفيها (وَالْخَامِس الحبر هُوَ الغزالى ... وعده مَا فِيهِ من جِدَال) انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/ ٣٤٤). المؤلف: محمد أمين بن فضل اللَّه بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: ١١١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت.

(٣) االباطنية: هم جماعة ترى أن لظواهر النصوص والأخبار بواطناً، وهم طوائف عديدة تلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص، وإخراجها عن معانيها الظاهرة، وهم بذلك يهدمون الدين، ويبطلون شعائره وأحكامه. انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٩٨). المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) الناشر: مكتبة الخانجي –القاهرة.

(٤) يرجع في تفصيل ذلك إلى كتاب رجال الفكر والدعوة للشيخ أبي الحسن الندوي الجزء الخاص بحجة الإسلام الغزالي فقد أسهب -رحمه اللَّه-في الحديث عن عصره وتأثره به وتأثيره فيه. ط. دار القلم دمشق.

أسسوه من نظريات تتعلق بالبحوث الدينية؛ ذريعة لكثير من الفتن والشبهات؛ أما كشف شبهاتهم، وتفكيك مصطلحاتهم، وتفنيد نظرياتهم فينبغي أن يكون لها علمها الخاص، وهو علم كشف الشبهات وما يستقل به من مؤلفات، فيبقي التفسير نقيًا خالصاً يُوجه شراعه نحو غاية القرآن العظيم في الهداية والتشريع والتربية، ولا يشغل قارئه عنها بما يُثير الشبهة ويتنافى مع تيسير اللَّه-عز وجل-كلامه للذكر.

وما أصدق ما قاله الشيخ عبد الوهاب خلاف-رحمه اللَّه-(ت ١٣٧٥ هـ)[(١)]: " ليس من السائغ قانونًا، ولا عقلاً أن يُسن الشارع قانونًا من القوانين بلغةٍ، ويتطلب من الأمة أن تفهم ألفاظ مواده وعباراتها، على مقتضى أساليب وأوضاع لغة أخرى، لأن شرط صحة التكليف بالقانون قُدرة المكلفين به على فهمه. ولهذا يُوضع القانون في الأمة بلسانها، وبلغة جمهور أفرادها، ليكون في استطاعتهم فهم الأحكام منه بأساليب الفهم في لغتهم. ولا يكون القانون حجة على الأمة إذا وضع بغير لغتها أو كان طريق فهمه غير طريق فهم اللغة التي وضع بها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]"[(٢)].

فهذه المصطلحات الوافدة، وإن جرى تعريب بعضها، إلا أنها تظل نبتة غريبة عن روح حضارتنا؛ جاءت محملة بأوزار ما جرى للتوراة، والإنجيل من تحريف، وما ترتب على ذلك، من مناهج، ونظريات، ومصطلحات، تواضع عليها الدارسون لتاريخهما، وتفسيرهما، فمحاولة تطبيق تلك المناهج والنظريات والمصطلحات فيما يتعلق بالقرآن الكريم، هو من الظلم والعبث؛ فتاريخ القرآن الكريم، وحفظه، وكتابته،

(١) (١٣٠٥ -١٣٧٥ هـ = ١٨٨٨ -١٩٥٦ م) عبد الوهاب بن عبد الواحد خلاف: فقيه مصري، من العلماء. كان أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، ومفتشا في المحاكم الشرعية، وأحد أعضاء مجمع اللغة العربية. ولد بكفر الزيات، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة (سنة ١٩١٢) وكان أخطب الطلاب فيها. ودرّس بها له تصانيف مطبوعة انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١٨٤). مرجع سابق.

(٢) علم أصول الفقه (ص: ١٤١). المؤلف: عبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ) الناشر: مكتبة الدعوة - شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم) عن الطبعة الثامنة لدار القلم.

ولغته، وتفسيره، كل ذلك له خصائص، لم تتوافر لا للتوراة، ولا للإنجيل[١]..

يقول الأستاذ رؤوف أبو سعدة –رحمه اللَّه–:"اللغة ليست أداة التعبير فحسب ولكنها أيضا – وبالدرجة الأولى – أداة العقل والفكر"[٢]. " وعيب اللفظ المنقول على أصله الأعجمي إلى اللغة المستعيرة أنه ليس دالاً بذاته على أصل معناه في لغة المنقول عنهم، فيلتبس على غير المتخصص من أبناء اللغة المستعيرة، وربما استخدم في غير ما وضع له. يحدث هذا بالتحديد في ألفاظ "المعاني"، أي الألفاظ الدالة على الفعل وهيئة الفعل، من مثل " الاستراتيجية" و"الديمقراطية"، الخ، في اللغات المعاصرة، مما ليس له مقابل مادي خارج الذهن، يوضحه ويجليه ويذكر به، أكثر مما يحدث في أسماء الأشياء والمنتجات والمصنوعات والعدد والآلات والمكتشفات والمخترعات التي سبقت إليها الحضارة الغالبة مثل " الرادار" وغيره، مما له خارج الذهن مقابل مادي يوضحه ويجليه ويذكر به. أما اللغة التي تستعير من غيرها معاني الأفعال وأسماء الأفعال، فهي لغة قد عقم تفكير أهلها وضحل، ينتظرون من غيرهم أن يفكر لهم، ثم يأخذوا عنه أخذ الببغاء والقردة، فيزداد تبعية ويمعنوا ارتكاسًا، لغة أهل الحضارة الغالبة هي المثل على تطور اللغة بتطور الحضارة الذاتية لأبناء اللغة، ولغة الحضارة التابعة هي المثل على تحور اللغة بتأثير الغزو اللغوي – الحضاري"[٣]."إن هناك محاولات حثيثة خبيثة من جانب الغرب لتعميم الهزيمة الحضارة للعالم الإسلامي ونقلها من شقها المادي إلى شقها المعنوي القيمي أيضًا؛ لأن الأمم التي تتمسك بقيمها المعنوية؛ يؤمل لها أن تستعيد تفوقها الحضاري، أما إذا هزمت أيضًا وصارت تابعة في الجانب المعنوي والروحي من الحضارة؛ فلا أمل في نهوضها من

(١) يُنظر بتوسع هذه القضية في كتاب: نسخ التلاوة بين اجتهاد العلماء وشبهات الخصوم. وكتاب: كتابة القرآن في حياة النبي ﷺ. كلاهما تأليف د عماد محمود محمود عبد الكريم ط. مكتبة الإيمان بالقاهرة. الأولى ٢٠١٨م.

(٢) العلم الأعجمي في القرآن ١/ ٧٠.مرجع سابق.

(٣) السابق ١/ ٦٨.

جديد، بل ستبقي متسولة على موائد الحضارات، وفرق شاسع بين التلاقح اللغوي بسبب تعارف الشعوب وبين استيراد مصطلحات جاهزية تحمل في طيات معانيها جراثيم التبعية الفكرية والعقلية وعندنا ما يغني عنها في أمن وسلام" (١). وقد " دخل أغلب المستشرقين –إن لم يكن جميعهم–إلى المعجم العربي مثقلين بما حملوه من عبرية التوراة، يفسرون العربي بالعبري على قدر محفوظهم من تلك العبرية التي انقرضت أو غابت أصول جذورها تحت ركام من تفاسير وضعت بعد ألف سنة من عصر موسى – عليه السلام–تخطئ وتصيب. في وهمهم أن العبرية أقدم وجودًا من العربية لمجرد أن التوراة أقدم نزولًا من القرآن. وقد لغوا بهذا وسكنت إليه نفوسهم؛ لأنه يفيدهم في دعوى استنساخ القرآن من التوراة، وهي دعوى لا يقول بها إلا هازل، جاهل بالقرآن وبالتوراة. وقد تظاهرت الآن علوم اللغات والتاريخ والآثار على أن اللغة العربية هي أم الساميات جميعًا، إليها يُرد علم ما باد وانقرض في تلك اللغات السامية، ومنها يؤخذ تفسير ما غمض فيها، أو شحب معناه، أو فقد جذره ومضى عصر كان يُنظر فيه إلى أولئك المستشرقين نظرة الهيبة والإكبار، يؤخذ عنهم ويتتلمذ عليهم دون نقد أو تمحيص، الغث والسمين. نقول هذا دون أن نقلل من جهدهم الضخم، وكان أولى بنا أن نقوم به نحن، فنأمن الهوى "(٢).

أصول التفسير المنبثقة من تلك الحقيقة:

أولًا: العلوم الإسلامية لها مصطلحاتها العربية التي تقلبت في صدور علماءها أربعة عشر قرنًا وتلاقحت حولها الأفكار وسقيت من نبع القرآن الكريم، والسنة المطهرة، واقتاتت من خشية العلماء وإخلاصهم وجرى تمحيصها ومدارستها في مجالسهم وبطون كتبهم وشروحها وحواشيها؛ فتلك العلوم وفي مقدمتها علم التفسير وعلوم القرآن وأصول التفسير ليست بحاجة لمصطلحات أعجمية وافدة نشأت

(١) السابق نفسه.

(٢) انظر السابق ١/ ٢٠٩ بتصرف يسير.

وأسست في صدور رجال لا يؤمنون لا بقرآن ولا سنة ولا يحسنون فهم لغتهما بل يسعون لإطفاء نورهما ﴿.... أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

ثانيًا: استخدام المصطلحات الغربية الوافدة في الدراسات القرآنية باعتبارها مُؤَسِسةٌ للبحث العلمي كمصطلحات المستشرقين والقراءة المعاصرة والحداثيين؛ ذريعة لفتنة تُصرف بها الأمة عن معاني القرآن الكريم، وتفتح بها أبواب التأويل الفاسد والتحريف المعنوي لمعاني القرآن الكريم، وكل ما كان كذلك فلا شك في حرمته.

المبحث السابع

من حقائق القرآن " أنه كتاب عالمي أنزله اللَّه للناس كافة" وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا **ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** (١٠٤)﴾ [يوسف: ١٠٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا **رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** (١٠٧)﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ **لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** (١)﴾ [الفرقان: ١] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا **ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** (٨٧)﴾ [ص: ٨٦، ٨٧]

أصول التفسير المنبثقة من تلك الحقيقة:

أن ترجمة معاني القرآن للغات الحية في كل عصر فرض كفائي على الأمة؛ لأن تبليغ دعوة القرآن للناس كافة متوقف على ذلك؛ وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية وهو رسالة اللَّه للناس كلهم على اختلاف لغاتهم ولا يعقل أن يطلب من الناس كلهم تعلم اللغة العربية فهم أمة الدعوة يجب أن تصل لهم دعوة القرآن الكريم مترجمة إلى لسانهم وقد جرت سنة التاريخ أن الشعوب تسعى لتتعلم اللغة العربية بعد دخولها الإسلام وليس قبل ذلك.

وهذا هو اختيار الإمام البخاري (ت: ٢٥٦هـ) -رحمه اللَّه-فهو صريح ترجمته التي يقول فيها: "باب: ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب اللَّه، بالعربية وغيرها لقول اللَّه تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]. وقال

ابن عباس: أخبرني أبو سفيان بن حرب: أن هرقل دعا ترجمانه، ثم دعا بكتاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم فقرأه: " بسم اللَّه الرحمن الرحيم، من محمد، عبد اللَّه ورسوله، إلى هرقل، و: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ...﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية "[١]. **قال الإمام القسطلاني**: (ت: ٩٢٣هـ) "ووجه الدلالة منها (أي الآية الكريمة) أن التوراة بالعبرانية وقد أمر اللَّه أن تتلى على العرب وهم لا يعرفون العبرانية ففيه الإذن في التعبير عنها بالعربية...وجه الدلالة منه (الحديث الشريف) أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-كتب إلى هرقل باللسان العربي ولسان هرقل رومي ففيه إشعار بأنه اعتمد في إبلاغه ما في الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث إليه ليفهمه والمترجم المذكور هو الترجمان"[٢]. وقال الإمام القسطلاني: (ت: ٩٢٣هـ) في شرح حديث: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم...) [٣] قال البيهقي: " فيه دليل على أن أهل الكتاب إن صدقوا ما فسروا من كتابهم بالعربية كان ذلك مما أنزل إليهم على طريق التعبير عما أنزل وكلام اللَّه واحد لا يختلف باختلاف اللغات فبأي لسان قرئ فهو كلام اللَّه ثم أسند عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] يعني ومن أسلم من العجم وغيرهم. قال البيهقي: وقد لا يكون يعرف العربية فإذا بلغه معناه بلسانه فهو له نذير"[٤].

وصفوة القول: الإسلام دين عالمي؛ والقرآن الكريم كتابه، ومن لوازم تلك

---

(١) صحيح البخاري كتاب: التوحيد باب: ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب اللَّه، بالعربية وغيرها (٩/ ١٥٧) حديث رقم: ٧٥٤١.مرجع سابق.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٦٥). المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

(٣) صحيح البخاري (٦/ ٢٠). كِتَابُ: تَفْسِيرِ القُرْآنِ. بَابُ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] حديث رقم: ٤٤٨٥. مرجع سابق

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٦٦) مرجع سابق.

العالمية ترجمة معانيه للغات الأخرى وفق ضوابط واضحة في المترجم والترجمة حتى تتحقق رسالته[1].

مع ملاحظة أن: "ترجمة سورة أو آية بلغة أجنبية غير عربية لا تعد قرآناً مهما روعي من دقة الترجمة وتمام مطابقتها للمترجم في دلالته، لأن القرآن ألفاظ عربية خاصة أنزلت من عند اللَّه. نعم لو كان تفسير القرآن أو ترجمته يتم بواسطة من يوثق بدينه وعلمه وأمانته وحذقه يسوغ أن يعتبر هذا التفسير أو هذه الترجمة بياناً لما دل عليه القرآن ومرجعاً لما جاء به، ولكن لا يعتبر هو القرآن ولا تثبت له أحكامه، فلا يحتج بصيغة عبارته وعموم لفظه وإطلاقه لأن ألفاظه وعباراته ليست ألفاظ القرآن ولا عباراته، ولا تصح الصلاة به ولا يتعبد بتلاوته"[2]

المبحث الثامن

من حقائق القرآن "تحديد القرآن لطريقة نزوله وبيان الحكمة منها".

وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)﴾ [الفرقان: ٣٣].

توضيح وبيان: "إذا تتبعت آيات القرآن وجدتها قد أتت بالعدد الوافر من شُبَه الضالين واعتراضاتهم، ونقضتها بالحق الواضح والبيان الكاشف في أوجز لفظ وأقربه وأبلغه. وهذا قسم عظيم جليل من علوم القرآن يتحتم على رجال الدعوة والإرشاد أن يكون لهم به فضل عناية، ومزيد دراية وخبرة. ولا نحسب شبهة ترد على الإسلام، إلاّ

(١) انظر حكم ترجمة القرآن تفصيلا في مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ١٣١) المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة.

(٢) علم أصول الفقه (ص: ٢٣). المؤلف: عبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ) الناشر: مكتبة الدعوة - شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم) الطبعة: عن الطبعة الثامنة لدار القلم.

وفي القرآن العظيم ردها بهذا الوعد الصادق من هذه الآية الكريمة. فعلينا عند ورود كل شبهة من كل ذي ضلالة أن نفزع إلى آي القرآن، ولا إخالنا إذا أخلصنا القصد وأحسنا النظر إلاّ واجديها فيها. وكيف لا نجدها في آيات ربنا التي هي الحق وأحسن تفسيراً؟!"[(١)].

أصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة القرآنية:

أولًا: يقول الإمام ابن باديس[(٢)] (ت: ١٣٥٩هـ) –رحمه اللَّه–مستنبطًا من تلك الآية الكريمة: " لنقتد بالقرآن فيما نأتي به من كلام في مقام الحِجَاج، أو مقام الإرشاد. فلنتوخ دائماً الحق الثابت بالبرهان أو بالعيان، ولنفسره أحسن التفسير ولنشرحه أكمل الشرح، ولنقربه إلى الأذهان غاية التقريب. وهذا يستدعي صحة الإدراك، وجودة الفهم ومتانة العلم لتصور الحق ومعرفته ويستدعي حسن البيان وعلوم اللسان لتصوير الحق وتجليته والدفاع عنه. فالاقتداء بالقرآن في الإتيان بالحق وأحسن بيان، علينا أن نحصل هذه كلها، ونتدرب فيها، ونتمرن عليها، حتى نبلغ إلى ما قدر لنا منها. هذا ما على أهل الدعوة والإرشاد، وخدمة الإسلام والقرآن. فأما ما على عموم المسلمين من هذا

(١) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨٣) المؤلف: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ) المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م.

(٢) ابن بادِيس (١٣٠٥ –١٣٥٩ هـ= ١٨٨٧ –١٩٤٠ م) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١ م، إلى وفاته. ولد في قسنطينة، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلة (الشهاب) علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلدا. وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذي. وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده. وأنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيرا من المدارس. وتوفي بقسنطينة في حياة والده. له (تفسير القرآن الكريم) اشتغل به تدريسا زهاء ١٤ عاما، ونشرت نبذ منه ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم (مجلس التذكير –ط) ونشر في الجزائر (آثار ابن باديس) في ٤ مجلدات. الأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٩). مرجع سابق.

الاقتداء: فهو دوام القصد إلى الإتيان بالحق، وبذل الجهد في التعبير بأحسن لفظ وأقربه. ومن أخلص قصده في شيء وجعله من وكده[1] أُعين-بإذن اللَّه تعالى- عليه."[2]. **قلت**: وأولى الناس بتطبيق هذا كله هم المفسرون.

ثانيًا: دلت الآية على أن الوقوف على زمن النزول وسببه أمر لازم لفهم القرآن الكريم وتفسيره فهو يُمثل مقتضى الحال الذي يُبحث عن مطابقة الكلام له.

ثالثاً: أن تفاعل هذا النزول المنجم للقرآن الكريم مع عادات المجتمع العربي وموروثاته إباحة وتحريمًا وتقويمًا جعل من العلم بعادات المجتمع العربي زمن نزول القرآن الكريم من لوازم تفسير الآيات المتعلقة بذلك.

رابعًا: أن المفسر الذي يُؤخذ قوله في الاعتبار لا بد أن يكون عالمًا بزمن النزول وسببه دراية ورواية محققًا لمتونها وما هو منها صريح في السببية وما هو غير صريح، عالماً بعادات العرب في زمن النزول.

خامساً: أهمية علم أسباب النزول في فهم القرآن الكريم، وسبق تفسير الصحابة – رضي اللَّه عنهم-لاختصاصهم بهذا العلم.

حديث القرآن الكريم عن زمن النزول وأثره في حل مشكلات المسائل:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ **وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ** عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)﴾ [المائدة: ١٠١، ١٠٢].

"كانت الوقائع تقع، والحوادث تحدث، والشبه تعرض، والاعتراضات ترد. فكانت الآيات تنزل بما تتطلبه تلك الوقائع من بيان، وما تقتضيه تلك الحوادث من أحكام، وما تستدعيه تلك الشبه من رد، وتلك الاعتراضات من إبطال، إلى غير ما ذكرنا

(١) وكْده أي غرضه وقصده.

(٢) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨٣) مرجع سابق.

من: مقتضيات نزول الآيات المعروفة بأسباب النزول. وفي بيان الواقعة عند وقوعها، وذكر حكم الحادثة عند حدوثها، ورد الشبهة عند عروضها، وإبطال الاعتراض عند وروده-ما فيه من تأثير في النفوس، ووقع في القلوب، ورسوخ في العقول، وجلاء في البيان، وبلاغة في التطبيق، واستيلاء على السامعين. وما كان هذا كله ليأتي لولا تفريق الآيات في التنزيل، وترتيلها وتنضيدها هذا الترتيل العجيب، وهذا التنضيد الغريب، الذي بلغ الغاية من الحسن والمنفعة، حتى أنه ليصح أن يعد وحده وجهاً من وجوه الإعجاز. وحظنا من العمل بهذه الحكمة: أن نقرأ القرآن ونتفهمه، حتى تكون آياته على طرف ألسنتنا، ومعانيه نصب أعيننا، لنطبق آياته على أحوالنا، وننزلها عليها كما كانت تنزل على الأحوال والوقائع. فإذا حدث مرض قلبي أو اجتماعي طلبنا دواءه في القرآن وطبقناه عليه. وإذا عرضت شبهة أو ورد اعتراض، طلبنا فيه الرد والإبطال. وإذا نزلت نازلة طلبنا فيه حكمها، وهكذا نذهب في تطبيقه وتنزيله على الشؤون والأحوال إلى أقصى حد يمكننا"[(١)].

دليل أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

- قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ **وَمَنْ بَلَغَ**﴾ [الأنعام: ١٩].
- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ** وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)﴾ [الجمعة: ٢ - ٤].
- قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى **وَمَنْ حَوْلَهَا** وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)﴾ [الأنعام: ٩٢، ٩٣].
- ووجه الدلالة في الآيات الكريمة واضح لا يحتاج إلى بيان.

(١) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ١٨١) مرجع سابق.

المبحث التاسع

من حقائق القرآن " تزكية قلوب الصحابة[1] والثناء على فهمهم للقرآن" وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة.

من خصائص قلوب الصحابة ﷺ في القرآن الكريم:

أولًا: براءة قلوبهم من الزيغ: قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧)﴾ [التوبة: ١١٧]. فالآية الكريمة بينت أن الأصل في قلوب الصحابة أنها لم تزغ وأن فريقًا منهم قارب ذلك لكنه لم يقع كما يفيده الفعل (كاد) وأثبتت الآية توبة اللَّه عليهم. وتلك تزكية عظيمة لقلوب الصحابة التي هي محل فهم القرآن والتأثر به، مما يشعر باستحقاق تفسيرهم تلك المنزلة التي تبوأها في علم أصول التفسير فهم قطعاً ليسوا من الذين قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿...فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

ثانيًا: تنزل السكينة في قلوبهم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤)﴾ [الفتح: ٤]. ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)﴾ [التوبة: ٢٦]. ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾ [الفتح: ٢٦، ٢٧].

(١) عرف المحدثون الصحابي بأنه: «من لقي النبي مؤمنًا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة، في الأصح» نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ت عتر (ص: ١١١) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) حققه على نسخه مقروءة على المؤلف وعلق عليه: نور الدين عتر الناشر: مطبعة الصباح، دمشق الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ فـ " جعل كلمة التقوى لازمة لهم لا يفارقونها، أي قرن بينهم وبين كلمة التقوى .... وأهل الشيء مستحقه، والمعنى أنهم كانوا أهل كلمة التقوى لأنها تناسب ضمائرهم وما انطوت عليه قلوبهم "(١).

ثالثا: اطمئنان قلوبهم: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١)﴾ [الأنفال: ١٠، ١١].

رابعاً: قلوبهم حبب اللَّه إليها الإيمان وزينه فيها: ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾ [الحجرات: ٧-٩].

معاينة الصحابة-رضى اللَّه عنهم-لتحقق نبوءات القرآن في حياة النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين:

أمر آخر تحقق لجيل الصحابة – رضى اللَّه عنهم-وثق صلتهم بالقرآن؛ فقد شاهدوا بأنفسهم بل كانوا هم وأبنائهم ومن أسلم على أيديهم يد القدر الإلهي في تحقق نبوءات القرآن حول انتشار الإسلام ومجيء نصر اللَّه والفتح وظهوره على الدين كله مما جعلهم يفهمون القرآن فهما عميقًا فقد رأوا وعوده تتحقق أمام أعينهم وكانت معاني آياته تلوح لهم في كل فتح يفتحونه وفي كل عدل ينشرونه وفي كل حق يحقونه وفي كل باطل يزهقونه؛ ومن روائع الإمام الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)-رحمه اللَّه- قوله عن الصحابة رضوان اللَّه عليهم وهو يفسر قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ: "...لا ترى وقعة من وقائعهم إلا عَلَمَاً من أعلام اللَّه وآية من آياته، يقوى معها اليقين، ويزداد بها الإيمان، ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٩٧، ١٩٥) مرجع سابق.

يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه، وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق، كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور، وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن، ودولة تظهر ثم تضمحل ...ومعناه: أن هذا الموعود من إظهار آيات اللَّه في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه، فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد، أي: مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته، فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده، ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة"[1].

من أصول التفسير المنبثقة من هذه الحقيقة.

أولاً: أن الذين مدح اللَّه علاقتهم بالقرآن الكريم فهمًا وإيمانًا وعملًا إذا روي عنهم تفسير للقرآن الكريم ؛ فإن لهذا التفسير ميزة ليست لغيرهم ممن جاء بعدهم وهؤلاء هم الصحابة رضوان اللَّه عليهم.

ثانيًا: أن أوصاف الصحابة الحسنة التي ذكرها القرآن الكريم لا سيما تلك المتعلقة بصلتهم بالقرآن هي السبيل لمن أراد أن يلحق بهم ويسير على نهجهم في تفسير القرآن الكريم ﴿... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ **أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾ [الحجرات: ٧-٩].

ثالثا: أن الذين ذم اللَّه علاقتهم بالقرآن الكريم من الطوائف التي عاصرت نزول القرآن من الكفار والمنافقين وأهل الكتاب ينبغي للمفسر الوقوف على مواطن العلل في تلك العلاقة حتى يتنزه عنها قلبًا وسلوكًا ومنهجًا.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٢٠٧) المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار اللَّه (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة -١٤٠٧ هـ. والآية الكريمة وإن دخل فيها الصحابة ﷺ دخولًا أوليًا بما لهم من خصائص فإن معنى الآية عام يشمل كل من جاء بعدهم لأن القرآن رسالة اللَّه للناس كافة.

المبحث العاشر

أنواع محرمة من التفسير

التفسير بغير علم:

"العلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"[(١)]. وقد رد النهي في القرآن الكريم عن القول على اللَّه تعالى بغير علم بأساليب متعددة:

منها النهي المباشر: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...﴾ [الإسراء: ٣٦] قال الإمام الغزالي (ت٥٠٥) –رحمه اللَّه–: "المراد بالآية منع الشاهد عن جزم الشهادة إلا بما يتحقق"[(٢)]. وقال أيضًا: "كل من خاض في شبهه بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...﴾ [الإسراء: ٣٦] "[(٣)].

ومنها التحريم الواضح: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ومنها بيان أنه من أوامر الشيطان: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩]. ومنها النهي بطريق الاستفهام الإنكاري: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)﴾ [الأعراف: ٢٨].

التفسير بالظن:

قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى

---

(١) التعريفات (ص: ١٥٥) مرجع سابق.

(٢) المستصفى (ص: ١١٦). المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٠١) المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة–بيروت.

(٢٣)﴾ [النجم: ٢٣] الاستنباط: إذا كان التفسير بغير علم محرم؛ فإن التفسير بالظن الذي لا تقوم عليه أدلة كافية تلحقه برتبة العلم الجازم المطابق للواقع محرم كذلك، و"أصل الظن الاعتقاد غير الجازم، ويطلق على العلم الجازم إذا كان متعلقا بالمغيبات كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦)﴾ [البقرة: ٤٦، ٤٧]، وكثر إطلاقه في القرآن على الاعتقاد الباطل كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ...وهذا التفنن في معاني الظن في القرآن يشير إلى وجوب النظر في الأمر المظنون حتى يلحقه المسلم بما يناسبه من حسن أو ذم على حسب الأدلة، ولذلك استنبط علماؤنا أن الظن لا يغني في إثبات أصول الاعتقاد وأن الظن الصائب تناط به تفاريع الشريعة"[(١)].

وفسر الإمام البيهقي-رحمه اللَّه-الظن الذي يحرم تفسير القرآن به بأنه: "...الرأي الذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه فمثل هذا الرأي لا يجوز الحكم به في النوازل؛ فكذلك لا يجوز تفسير القرآن به، وأما الرأي الذي يسنده برهان؛ فالحكم به في النوازل جائز وكذلك تفسير القرآن به جائز."[(٢)].

"قال عقبة ابن عامر -رضي اللَّه عنه-: تعلموا قبل الظانين. قال البخاري: يعني الذين يتكلمون بالظن"[(٣)] "...قيل: مراده قبل اندراس العلم وحدوث من يتكلم

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٠٩) مرجع سابق.

(٢) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٣). المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

(٣) صحيح البخاري (٨/ ١٤٨) كتاب: الفرائض. باب: تعليم الفرائض. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد اللَّه البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

بمقتضى ظنه غير مستند إلى علم"[١].

التفسير بهوى النفس:

قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣)﴾ [النجم: ٢٣، ٢٤].

الاستنباط: يجب الاعتبار بحال أهل الكتاب الذي اعتمدوا على الظن واتبعوا هوى النفس في فهم كتابهم: قال تعالى واصفًا أوهامهم التي نسجوها من خيوط الظن في سياق من الذم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢)﴾ [البقرة: ٧٨ - ٨٢]. فـ"الاستثناء في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ منقطع، لأن الأماني ليست من جنس العلم بالكتاب، ولا مندرجة تحت مدلوله"[٢]. وذم اللَّه -عز وجل- عوام أهل الكتاب؛ لأنهم اكتفوا بظنون وأوهام، وقراءة غير مفهومة للكتاب الإلهي الذي أنزل عليهم، كما ذم علماؤهم بأنهم -وقد تركوا الجهل ينتشر في العوام- زادوا الطين بلة والداء علة؛ فاستغلوا ذلك الجهل؛ فكتبوا كلاماً من عند أنفسهم ونسبوه للَّه عز وجل. وإنما ذكر اللَّه ذلك؛ لنعتبر به، ولا

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/ ٤). المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز.

(٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (١/ ٣٣٤) المؤلف: محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤ هـ) تصدير: محمود محمد شاكر الناشر: دار الحديث، القاهرة الطبعة: بدون.

نسقط فيما سقطوا فيه، والوقاية من هاتين الآفتين يكون بإشاعة العلم بحقيقتين:

الأولى: أن النص القرآني نص محفوظ بالحفظ الإلهي لا يدخله تحريف لفظي البتة.

الثاني: أن تفسير النص القرآني له أصول تفسير وأمهات بيان لا يجوز الخروج عنها وأن فهم القرآن الكريم ليس كلأً مباحًا للأفهام الكليلة أو النفوس العليلة؛ وإنما له أهله الذين لقبهم القرآن تارة بالراسخين في العلم، وتارة بأهل الذكر، وتارة بالذين أتوا العلم.

وفي الختام أحمد اللَّه على فضله وأدعوه سبحانه تالياً: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)﴾ [إبراهيم: ٤١].

***

نتائج البحث

اشتملت الدراسة على عشرة مباحث تكشفت فيها مجموعة من الحقائق القرآنية انبثقت منها مجموعة عظيمة من أصول تفسيره. كانت على النحو التالي:

- **أولاً**: القرآن الكريم كلام اللَّه تعالى بلفظه، وانبثقت من هذه الحقيقة مجموعة من أصول تفسير القرآن الكريم تمثلت في استحالة التناقض على القرآن الكريم من كل وجه؛ سواء بين معانيه ذاتها، أوبين القرآن وبين حقائق الخلق، أو بين القرآن وبين حقائق التاريخ، أو بين القرآن وبين حقائق العدل. ويتوجب على المفسرين مراعاة تلك الأصول في مناهجهم وأبحاثهم.
- **ثانيًا**: للمفسر علومه وملكاته التي أسس لها القرآن الكريم ودرجة صواب المفسر متوقفة على تحققه بتلك العلوم والملكات، ومنها الربانية والرسوخ في العلم وسلامة القلب من الزيغ والقسوة.

كما أسس القرآن لحقيقة أن الإيمان والعمل الصالح لا سيما قيام الليل من أهم مؤهلات فهم القرآن الكريم.

- **ثالثاً**: بيان القرآن للقرآن حقيقة قرآنية لها ظواهرها المؤسسة لها في الذكر الحكيم ومن أبرز تلك الظواهر ظاهرة الإحالة في القرآن على بعضه البعض، وظاهرة تخطئة تقسيم نصوص الوحي وتعضيتها وإهمال النظرة الكلية الشاملة. وقد استوعب النحاة حقيقة بيان القرآن بالقرآن وأن القرآن كله بمنزلة السورة الواحدة وتأثروا بها في إعراب القرآن.
- **رابعًا**: من حقائق القرآن أن بيان القرآن من وظائف النبوة. وحجية التفسير النبوي كانت من أوائل الكليات التي نزل بها القرآن الكريم وينبثق عن تلك الحقيقة ما يأتي:

١. أن وحي السنة الذي تضمن معاني القرآن الكريم هو أصل ملزم في تفسير القرآن الكريم، لا يحل لأحد مخالفته؛ لأنه حينئذٍ إنما يخالف وحيًا أوحاه اللَّه لرسوله ﷺ.

٢. لا تعارض بين القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة فكلاهما وحي.

٣. أن توجيهات اللَّه لرسوله ﷺ المتعلقة بفهم القرآن ينبغي أن تكون محل عناية تامة من المفسر يجب عليه القيام بها اقتداء بالمفسر البشري الأكرم والأعظم محمد - صلى اللَّه عليه وسلم-مع مراعاة ما قام عليه دليل أنه من خصوصياته الشريفة عليه الصلاة والسلام.

٤. أن المفسر الذي يؤخذ قوله في الاعتبار لا بد أن يكون عالماً بالسنة النبوية رواية ودراية؛ حتى يتمكن من القيام بهذا الأصل والالتزام به على وجهه الصحيح فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

• **خامسًا**: من حقائق القرآن الكريم "تحديد القرآن اللغة التي تنتمي إليها ألفاظه وأساليبه" وانبثقت من هذه الحقيقة مجموعة من أصول تفسير القرآن الكريم:

١. أن فهم معاني ألفاظ القرآن، وجمله، وتراكيبه، وأساليبه، راجع إلى متن اللغة العربية المحفوظ في معاجمها لفظًا واشتقاقًا ودلالة، وكتب علومها التي حُفظت قواعد تصريفها واشتقاقها، وقواعد نحوها وإعرابها، وأصول بلاغتها، وأنواع أساليبها وطرق تعبيرها في شعرها ونثرها.

٢. أن المفسر الذي يُؤخذ قوله في الاعتبار لا بد أن يكون عالماً بكل تلك العلوم متمكنًا من أصولها قادرًا على تحقيق مسائلها؛ حتى يتسنى له فهم القرآن على وجه صحيح، وهذا شرط بدهي لازم لفهم كل كتاب فلا بد من فهم لغته أولًا.

٣. بما أن القرآن بوجوه قراءاته المتواترة كلام اللَّه تعالى بلفظه نزل باللغة العربية؛ فإنه يتصف بصفات الكمال من حيث الألفاظ والتراكيب والأساليب اللغوية؛ فما ظُن من تعارض بين بعض القواعد المدونة في كتب اللغة؛ أو بعض آراء البصريين أو الكوفيين وبين ما جاء به القرآن، فإن القرآن هو المرجع الموثوق للغة العربية؛ تصحح به تلك القواعد وطريق النحاة الصحيح يجب أن يكون هو طريق الفقهاء فكما أجمع أئمة الفقه على مقولة: (إذا صح الحديث فهو مذهبي) فإن الواجب على النحاة أن يتمذهبوا بمذهب

الفقهاء فيقولوا (إذا صح وجه من الإعراب في قراءة متواترة فهو مذهبنا).

٤. يجب على المفسر ألا يحمل الآية المفسرة على وجه ضعيف في اللغة بل يتحرى أقوى الوجوه وأفصحها؛ فإن القرآن كما وصفه اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤)﴾ [الزخرف: ٣، ٤] فالقرآن (عليٌ) في لغته كما هو (عليٌ) في أحكامه أليس هو كلام العلي الحكيم تباركت أسماؤه!!! بلى؛ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١)﴾ [الشورى: ٥١].

٥. اشتمل القرآن الكريم على مشاهد قرآنية ذات دلالات حاسمة توجب الالتزام بمنطوق اللفظ ودلالاته.

سادساً: من حقائق القرآن: "حرمة استخدام المصطلحات والألفاظ الملتبسة التي يتحقق بها أغراض خصوم الإسلام" وانبثقت من هذه الحقيقة مجموعة من أصول تفسير القرآن الكريم:

١. العلوم الإسلامية لها مصطلحاتها العربية التي تقلبت في صدور علماءها أربعة عشر قرنًا وتلاقحت حولها الأفكار وسقيت من نبع القرآن الكريم، والسنة المطهرة، واقتاتت من خشية العلماء وإخلاصهم وجرى تمحيصها ومدارستها في مجالسهم وبطون كتبهم وشروحها وحواشيها؛ فتلك العلوم وفي مقدمتها علم التفسير وعلوم القرآن وأصول التفسير ليست بحاجة لمصطلحات أعجمية وافدة نشأت وأسست في صدور رجال لا يؤمنون لا بقرآن ولا سنة ولا يحسنون فهم لغتهما ﴿.... أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

٢. استخدام المصطلحات الغربية الوافدة في الدراسات القرآنية باعتبارها مُؤَسِسةٌ للبحث العلمي كمصطلحات المستشرقين والقراءة المعاصرة والحداثيين؛ ذريعة لفتنة تُصرف بها الأمة عن معاني القرآن الكريم، وتفتح بها أبواب التأويل الفاسد والتحريف المعنوي لمعاني القرآن الكريم، وكل ما كان كذلك فلا شك في حرمته.

سابعاً: من حقائق القرآن الكريم " أنه كتاب عالمي أنزله اللَّه للناس كافة". والإسلام دين عالمي؛ والقرآن الكريم كتابه، ومن لوازم تلك العالمية ترجمة معانيه للغات الأخرى وفق ضوابط واضحة في المترجم والترجمة حتى تتحقق رسالته.

ثامناً: من حقائق القرآن "تحديد القرآن لطريقة نزوله وبيان الحكمة منها" وينبثق عن تلك من أصول تفسير القرآن الكريم ما يأتي:

١. الوقوف على زمن النزول وسببه أمر لازم لفهم القرآن الكريم وتفسيره فهو يُمثل مقتضى الحال الذي يُبحث عن مطابقة الكلام له.

٢. تفاعل هذا النزول المنجم للقرآن الكريم مع عادات المجتمع العربي وموروثاته إباحة وتحريمًا وتقويمًا جعل من العلم بعادات المجتمع العربي زمن نزول القرآن الكريم من لوازم تفسير الآيات المتعلقة بذلك.

٣. المفسر الذي يُؤخذ قوله في الاعتبار لا بد أن يكون عالمًا بزمن النزول وسببه دراية ورواية محققًا لمتونها وما هو منها صريح في السببية وما هو غير صريح، عالماً بعادات العرب في زمن النزول.

٤. أهمية علم أسباب النزول في فهم القرآن الكريم، وسبق تفسير الصحابة – رضي اللَّه عنهم- لاختصاصهم بهذا العلم.

٥. قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب حقيقة قرآنية قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

تاسعاً: من حقائق القرآن " تزكية قلوب الصحابة والثناء على فهمهم للقرآن". وهؤلاء الذين مدح اللَّه علاقتهم بالقرآن الكريم فهمًا وإيمانًا وعملًا إذا روي عنهم تفسير للقرآن؛ فإن لهذا التفسير ميزة ليست لغيرهم ممن جاء بعدهم.

عاشراً: من أنواع التفسير التي حرمها القرآن الكريم: التفسير بغير علم، والتفسير بالظن، والتفسير بهوى النفس.

وللَّه ﷻ الحمد والمنة وأستغفر اللَّه ﷻ وأتوب إليه.

مراجع البحث[١]

١- إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٣- أصول البحث العلمي ومناهجه للدكتور أحمد بدر – وكالة المطبوعات الكويتية، ط ٧-١٩٨٤م، توزيع دار القلم بيروت.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت –لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥ مـ.

٥- إعراب القرآن وبيانه. المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(المتوفى:١٤٠٣هـ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية -حمص -سورية، (دار اليمامة -دمشق -بيروت)، (دار ابن كثير -دمشق -بيروت) الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.

٦- الأعلام للزركلي المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر -أيار/ مايو ٢٠٠٢ م.

٧- التسهيل لعلوم التنزيل المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللَّه، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد اللَّه الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى -١٤١٦ هـ.

٨- التكميل في أصول التأويل المؤلف: عبد الحميد الفراهي الهندي (المتوفى:

(١) مرتبة وفق حروف المعجم.

١٣٤٩ هـ). حققه وخرج آياته وأحاديثه محمد سميع مفتي. والكتاب بلا بيانات عن طابعه.

٩- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد اللَّه البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠- المسالك في شرح موطأ مالك. القاضي محمد بن عبد اللَّه أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني الناشر: دَار الغَرب الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م.

١١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٢- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

١٣- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

١٤- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد المؤلف: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد اللَّه، عز الدين اليمني (المتوفى: ٨٤٠هـ) الناشر: دار الكتب

العلمية –بيروت. الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

١٥- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير المؤلف: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ) المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٦- تفسير القرآن العظيم. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م.

١٧- تنزيه القرآن عن المطاعن. المؤلف: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي الناشر: دار النهضة الحديثة – بيروت عام النشر: ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.

١٨- جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.

١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد اللَّه الحسيني الألوسي المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٠- زهرة التفاسير المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي.

٢١- شعب الإيمان. المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٢٢- علم أصول الفقه. المؤلف: عبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ)

الناشر: مكتبة الدعوة -شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم) عن الطبعة الثامنة لدار القلم.

٢٣- فتح البيان في مقاصد القرآن المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف اللَّه الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد اللَّه بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا-بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.

٢٤- فهم القرآن المؤلف: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد اللَّه (المتوفى: ٢٤٣هـ) المحقق: حسين القوتلي الناشر: دار الكندي، دار الفكر - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٨.

٢٥- مختصر صحيح البخاري المسمى جمع النهاية في بدء الخير والغاية ص ٧٣ للإمام أبي جمرة سعد بن سعيد الأندلسي المتوفى سنة ٦٧٥هـ. ط دار المنهاج الإصدار الثاني-الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

٢٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب المؤلف: عبد اللَّه بن يوسف بن أحمد بن عبد اللَّه ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد اللَّه الناشر: دار الفكر - دمشق الطبعة: السادسة، ١٩٨٥.

٢٧- منهج الاستنباط من القرآن الكريم فهد بن مبارك بن عبد اللَّه الوهبي ط. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي. الأولى ١٤٢٨هـ. ٢٠٧م.

٢٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٩- الاستغناء في الاستثناء. تأليف: شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد

الرحمن القرافي (ت٦٨٤هـ) ط: دار الكتب العلمية-بيروت. الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م. ت: محمد عبد القادر عطا.

٣٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) الناشر: مكتبة الخانجي –القاهرة.

٣١- البحث العلمي مناهجه وتقنياته: د. محمَّد زيان عمر، ط، جدة بالسعودية، ١٣٩٤هـ.

٣٢- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». بتصرف. المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر: الدار التونسية للنشر. تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٣٣- التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٤- التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد للدكتور عبد الغفور مصطفى. ط دار السلام ط الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٥- التفصيل في إعراب آيات التنزيل. تأليف الدكتور/ عبد اللطيف الخطيب والدكتور/ سعد مصلوح والدكتور وا / رجب حسن علوش. ط: الأولى ٢٠١٥م مكتبة: الخطيب. الكويت.

٣٦- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. المؤلف: محمد أمين بن فضل اللَّه بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: ١١١١هـ) الناشر: دار صادر –بيروت.

٣٧- دراسات لأسلوب القرآن الكريم المؤلف: محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤ هـ) تصدير: محمود محمد شاكر الناشر: دار الحديث، القاهرة الطبعة: بدون.

٣٨- دلائل الإعجاز ت شاكر المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة -دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

٣٩- رسائل ابن حزم الأندلسي رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها. المحقق : إحسان عباس الناشر :المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٤٠- سير أعلام النبلاء. المؤلف: شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الحديث-القاهرة. الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤١- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٤٢- العلم الأعجمي في القرآن للأستاذ رؤوف أبو سعدة. طبع دار الهلال مصر بدون تاريخ.

٤٣- غريب الحديث للخطابي. المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ) المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي. خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي الناشر: دار الفكر – دمشق عام النشر: ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م.

٤٤- غريب القرآن. المؤلف: أبو محمد عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨ م.

٤٥- الغريبين في القرآن والحديث المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ) تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي قدم له وراجعه: أ. د. فتحي

حجازي الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز -المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٩ م.

٤٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار اللَّه (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة -١٤٠٧ هـ.

٤٧- مباحث في التفسير الموضوعي المؤلف: مصطفى مسلم الناشر: دار القلم الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤٨- المختار من كنوز السنة للعلامة محمد عبد اللَّه دراز. ط مجمع البحوث الإسلامية.

٤٩- المستصفى. المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٥٠- معجم المؤلفين. المؤلف: عمر رضا كحالة الناشر: مكتبة المثنى -بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٥١- مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٥٢- مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة.

٥٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

٥٤- النبأ العظيم المؤلف: محمد بن عبد اللَّه دراز. اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥٥- النشر في القراءات العشر المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.

٥٦- النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر" تأليف د قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية الأولى ١٤٣١-٢٠٢٠.

٥٧- الوافي بالوفيات المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد اللَّه الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث – بيروت عام النشر: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

***

فهرس البحث

ملخص البحث ٤٠٠
مقدمة ٤٠٢
المبحث الأول: من حقائق القرآن الكريم: "تقريره عقيدة أن القرآن الكريم
كلام اللَّه تعالى بلفظه"، وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة. ٤١٢
المبحث الثاني: من حقائق القرآن "بيان القرآن للقرآن" ٤٣٨
المبحث الثالث: من حقائق القرآن " بيان القرآن من وظائف النبوة ". ٤٤٤
المبحث الرابع: من حقائق القرآن "تحديد القرآن اللغة التي تنتمي إليها ألفاظه وأساليبه"
أصول التفسير المترتبة على هذه الحقيقة. ٤٤٦
المبحث الخامس : من حقائق القرآن الكريم: (الالتزام الدقيق بمنطوق الألفاظ
ودلالاتها) ٤٤٩
المبحث السادس: من حقائق القرآن: "حرمة استخدام المصطلحات الملتبسة
التي يتحقق بها أغراض خصوم الإسلام". وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة. ..٤٥٢
المبحث السابع: من حقائق القرآن " أنه كتاب عالمي أنزله اللَّه للناس كافة" ٤٥٩
المبحث الثامن: من حقائق القرآن "تحديد القرآن لطريقة نزوله وبيان الحكمة منها"....٤٦١
المبحث التاسع: من حقائق القرآن " تزكية قلوب الصحابة والثناء على فهمهم للقرآن"
وأصول التفسير المنبثقة عن تلك الحقيقة. ٤٦٥
المبحث العاشر: أنواع محرمة من التفسير ٤٦٧
نتائج البحث ٤٧١
مراجع البحث ٤٧٥

تم بحمد اللَّه تعالى وفضله

* * *

ثالثًا: قسم الحديث